صُحبة الصديق أبي بكر
في
القرآن الكريم

درء شبهات الشيعة
ودحض مفترياتهم حولها

إعداد

الدكتور/ فتحي محمد الزغبي

أستاذ العقيدة والفلسفة جامعة الأزهر بطنطا

مُقَـدِّمَة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.. أما بعد،،

فإن هذا البحث يدخل ضمن موضوعات المحور الأول بِشِقَيهِ: (الشبهات والافتراءات على الصحابة)، و(موقف الفرق الإسلامية من الصحابة)؛ حيث يدور حول بيان مكانة الصديق أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومنزلته الشريفة، وذلك بإثبات صحبته والنص عليها في القرآن الكريم، حيث يقول تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠].

وبيان ما تضمنته هذه الصُحبة الكريمة للنبي ﷺ من فضائل للصديق الأكبر، وما لحقته من بركات المعية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾.

ويقوم البحث بدرء شبهات الرافضة ودحض مفترياتهم حول هذه الصُحبة، وذلك بعرض هذه المفتريات، وتلك الشبهات من خلال الرجوع إلى كتبهم ونصوصهم مثل كتاب (منهاج الكرامة لابن المطهر)، وبعض تفاسيرهم، والقيام بتحليلها، ومناقشتها، ونقدها، والرد عليها ردًا علميًا موضوعيًا، مستعينًا بمناقشات علماء السنة لعلمائهم قديمًا وحديثًا.

فجاءت الدراسة تحليلية نقدية، حيث استخدمت المنهج التحليلي النقدي، واعتمدت عليه في كتابة هذا البحث، ولا أستطيع أن أزعم أن ما جئت به، وتوصلت إليه جديد كل الجدة، فقد خاض القدماء والمحدثون من المفسرين وعلماء العقيدة في هذا الموضوع من خلال تفاسيرهم ومؤلفاتهم.

أذكر منهم مثلًا: الفخر الرازي في تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب)، وابن تيمية في رده على ابن المطهر الرافضي، ومناقشته المستفيضة له، من خلال كتابه الموسوعي (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية)، والآلوسي في تفسيره (روح المعاني)، الذي كان مجاورًا للشيعة في العراق، فاختلط بعلمائهم، وناظرهم وناقشهم، إلا أنه لم يثبت -حسب علمي- أن أحدًا منهم، أو غيرهم، قد خصص لهذا الموضوع بحثًا أو كتابًا مستقلًا بذاته، فجمعت ما فرقوه، وحررت ما ينبغي تحريره، وحققت ما يحتاج للتحقيق، وأفردت لصحبة الصديق الأعظم سيدنا أبي بكر في القرآن الكريم هذا البحث.

وقمت بالرد على شبهات الرافضة، ونقض مفترياتهم، ودحض أكاذيبهم حول هذه الصُحبة الكريمة، فجاء البحث جديدًا في اسمه وعنوانه، وفريدًا في خطته وبنيانه، حيث اشتمل على: مقدمة ومبحثين وخاتمة.

مقدمة : تحديد مشكلة البحث ومنهج البحث والدراسات السابقة وخطة البحث.

المبحث الأول: (صُحبة الصديق أبي بكر في القرآن) واشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول: فضائل الصديق وأفضليته من خلال آية التوبة: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾.

المطلب الثاني: وصف الصديق بقوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ وتحقق هذا الوصف.

المطلب الثالث: النص على صُحبة الصديق في القرآن: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ ﴾.

المطلب الرابع: بركات المعية التي لحقت بالصديق في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾.

المبحث الثاني: **(درء شبهات الرافضة ونقض مفترياتهم حول صحبة الصديق في القرآن) واشتمل على خمسة مطالب :**

المطلب الأول: عرض شبهات الرافضة ونقل مفترياتهم في إجمال.

المطلب الثاني: شبهة في فهمهم لقوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ﴾، ﴿ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ﴾.

المطلب الثالث: شُبهة في فهمهم لقوله تعالى: ﴿ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ ﴾.

المطلب الرابع: شُبهة في ادعائهم أن حزن أبي بكر من خلال قوله: ﴿ لَا تَحۡزَنۡ ﴾ يدل على نقصه.

المطلب الخامس: شُبهة في فهمهم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾.

الخاتمة : وتتضمن أهم نتائج البحث.

وقد توسعت في عرض الشبهات ونقدها، وأكثرت من التعليقات والتعقيبات، في المبحثين الأول والثاني، فتضخم البحث وتضاعفت صفحاته، حتى تجاوزت الستين صحيفة، فحذفت مطالب برمتها، وحاولت الاختصار قدر الإمكان.

وأسأل الله سبحانه التوفيق والرشاد، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت
وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أُنيب،،،

فتحي محمد الزغبي

***

المبحث الأول

صُحبة الصديق أبي بكر في القرآن

ويشمل أربعة مطالب :

المطلب الأول: فضائل الصديق وأفضليته من خلال آية التوبة: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾.

المطلب الثاني: وصف الصديق بقوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ وتحقق هذا الوصف.

المطلب الثالث: النص على صُحبة الصديق في القرآن: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ ﴾.

المطلب الرابع: بركات المعية التي لحقت بالصديق في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾.

المطلب الأول

فضائل الصديق وأفضليته من خلال آية التوبة

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾

يذكر الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ ﴾ أي: تنصروا رسوله فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره.

﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ ﴾ أي: عام الهجرة لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه فخرج منهم هاربًا بصحبة صديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة فجعل أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يجزع أن يطلع عليهم أحد فيخلص إلى الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ منهم أذى، فجعل النبي ﷺ يسكنه ويثبته ويقول: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟**».

كما قال الإمام أحمد بسنده عن أنس أن أبا بكر حدثه قال: «قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، قال: فقال: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟**»[1].

ولهذا قال تعالى: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ أي تأييده ونصره عليه، أي على الرسول ﷺ في أشهر القولين، وقيل: على أبي بكر، ورُوِيَ عن ابن عباس وغيره قالوا: لأن الرسول ﷺ لم تزل معه سكينة وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ولهذا قال: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾، أي الملائكة، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ

١- أخرجاه في «الصحيحين».

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾، قال ابن عباس: يعني كلمة الذين كفروا الشرك، وكلمة الله هي لا إله إلا الله[(١)].

فقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ معناه: إلا تعينوه بالنفر معه في غزوة تبوك، حيث عاتبهم الله بعد انصراف نبيه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من تبوك، قال النقاش هذه أول آية نزلت من سورة (براءة)، والمعنى: إن تركتم نصره فالله يتكفل به إذ قد نصره الله في مواطن القلة وأظهره على عدوه بالغلبة والعزة وقيل فقد نصره الله بصاحبه في الغار بتأنيسه له وحمله على عنقه وبوفائه ووقايته له بنفسه ومواساته له بماله، قال الليث بن سعد: ما صحب الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ مثل أبي بكر الصديق، وقال سفيان بن عيينة: خرج أبو بكر بهذه الآية من المعاتبة التي في قوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾[(٢)].

واستدل بالآية -كما يقول الآلوسي- على فضل أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو لعمري مما يدع الرافضي في جحر ضب أو مهامه قفر، فإنها خرجت مخرج العتاب للمؤمنين ما عدا أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقد أخرج الحكيم الترمذي عن الحسن قال: «عاتب الله تعالى جميع أهل الأرض غير أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾... إلخ»، وأخرج ابن عساكر عن علي -كرم الله وجهه- بلفظ: «إن الله تعالى ذم الناس كلهم ومدح أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾... إلخ»، قال ابن عطية: «بل خرج منها كل من شاهد غزوة تبوك وإنما المعاتبة لمن تخلف فقط، وهذه الآية منوهة بقدر أبي بكر وحاكمة بقدمه وسابقته في الإسلام».

١- «تفسير ابن كثير» [ج٢/ ص٣٥٩].

٢- «تفسير القرطبي» [ج٨/ ص١٤٣].

وفي هذه الآية ترغيبهم في الجهاد ونصرة دين الله؛ إذ بيَّن فيها أنَّ الله ينصره كما نصره إذ كان في الغار وليس معه فيه أحد سوى أبي بكر، ورُوِيَ أن أبا بكر الصديق قال يومًا وهو على المنبر: «أيكم يحفظ سورة التوبة؟» فقال رجل: أنا، فقال: «اقرأ» فقرأ فلما انتهى إلى قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بكى وقال: «أنا والله صاحبه»، وفيها النص على صحبته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرسول الله ﷺ، ولم يثبت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ سواه.

وكونه المراد من الصاحب مما وقع عليه الإجماع ككون المراد من العبد في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء:١] رسول الله ﷺ، ومن هنا قالوا: إن إنكار صحبته كفر مع ما تضمنته من تسلية النبي ﷺ بقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾، وتعليل ذلك بمعية الله سبحانه الخاصة المفادة بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، ولم يثبت مثل ذلك في غيره، بل لم يثبت نبي معية الله سبحانه له ولآخر من أصحابه.

وكأن في ذلك إشارة إلى أنه ليس فيهم كأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي إنزال السكينة عليه بناء على عود الضمير إليه ما يفيد السكينة في أنه هو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولعن باغضيه، وكذا في إنزالها على الرسول ﷺ مع أن المنزعج صاحبه ما يرشد المنصف إلى أنهما كالشخص الواحد، وأظهر من ذلك إشارة ما ذكر إلى أن الحزن كان لرسول الله ﷺ ويشهد لذلك ما جاء في حديث الشيخين[1].

وفي هذه الآية الكريمة فضيلة أبي بكر الصديق بخصيصة لم تكن لغيره من هذه الأمة وهي الفوز بهذه المنقبة الجليلة، والصُحبة الجميلة، وقد أجمع المسلمون على أنه هو

١- راجع: «روح المعاني» [ج ١٠/ ص ٩٩ -١٠٠]، «تفسير البحر المحيط» [ج٥/ ص٤٥]، «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» [ج٣/ ص٣٦].

المراد بهذه الآية الكريمة، ولهذا عدّوا من أنكر صحبة أبي بكر للنبي ﷺ كافرًا؛ لأنه منكر للقرآن الذي صرَّح بها، فعن جميع بن عمير قال: (أتيت ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسمعته يقول: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَنْتَ صَاحِبِي فِي الْغَارِ, وَصَاحِبِي عَلَى الْحَوْضِ**»)، قال الحسين بن الفضل: «مَن قال إن أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر لإنكاره نص القرآن، وليس ذلك لسائر الصحابة فإذا أنكر يكون مبتدعًا لا كافرًا»[1]، ويذكر ابن حزم: «أن من فضائل أبي بكر المشهورة قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا**﴾، فهذه فضيلة منقولة بنقل الكافة لا خلاف بين أحد في أنه أبو بكر، فأوجب الله تعالى له فضيلة المشاركة في إخراجه مع رسول الله ﷺ في أنه خصَّه باسم الصُحبة له، وبأنه ثانيه في الغار، وأعظم من ذلك كله أن الله معهما، وهذا ما لا يلحقه فيه أحد»[2].

ويذكر ابن تيمية: «أنه في المواضع التي لا يكون مع النبي ﷺ من أكابر الصحابة إلا واحد كان يكون هو ذلك الواحد مثل سفره في الهجرة، ومقامه يوم بدر في العريش لم يكن معه فيه إلا أبو بكر، ومثل خروجه إلى قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام كان يكون معه من أكابر الصحابة أبو بكر، وهذا الاختصاص في الصُحبة لم يكن لغيره باتفاق أهل المعرفة بأحوال النبي ﷺ، وأما من كان جاهلًا أحوال النبي ﷺ أو كذابًا فذلك يخاطب خطاب مثله».

وينتهي إلى أن قوله تعالى في القرآن: ﴿**إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ**﴾ لا يختص بمصاحبته في الغار، بل هو صاحبه المطلق الذي كمل في الصُحبة كمالًا لم يشركه فيه غيره

١- «تفسير السعدي» [ج١/ ص٣٣٨]، «تفسير البغوي» [ج٢/ ص٢٩٣]، «تفسير النسفي» [ج٢/ ص٨٩].
٢- «الفصل في الملل والأهواء والنحل» [ج٤/ ص ١١٣]

فصار مختصًا بالأكملية من الصُحبة كما في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ اعْرَفُوا لِأَبِي بَكْرٍ حَقَّهُ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَسُؤْنِي قَطُّ، أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَاضٍ عَنْ عُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ**».

فقد تبين أن النبي ﷺ خصَّهُ دون غيره مع أنه قد جعل غيره من أصحابه أيضًا، لكن خصَّهُ بكمال الصُحبة، ولهذا قال من قال من العلماء: «إن فضائل الصديق خصائص لم يشركه فيها غيره»[١].

ويذكر الفخر الرازي: «أنه قد دلّت هذه الآية على فضيلة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من وجوه:

الأول - وهو أن الهجرة كانت بإذن الله تعالى وكان في خدمة رسول الله ﷺ جماعة من المخلصين وكانوا في النسب إلى شجرة رسول الله أقرب من أبي بكر فلولا أن الله تعالى أمره بأن يستصحب أبا بكر في تلك الواقعة الصعبة الهائلة وإلا لكان الظاهر أن لا يخصه بهذه الصُحبة وتخصيص الله إياه بهذا التشريف دل على منصب عال له في الدين.

الثاني - أن كل من سوى أبي بكر فارقوا رسول الله ﷺ أما هو فما سبق رسول الله كغيره بل صبر على مؤانسته وملازمته وخدمته عند هذا الخوف الشديد الذي لم يبق معه أحد وذلك يوجب الفضل العظيم.

الثالث - من التمسك بهذه الآية ما جاء في الأخبار أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما حزن قال ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟**»، ولا شك أن هذا منصب على درجة رفيعة.

١- «منهاج السنة النبوية» [٨/ ص٤١٦ -٤١٧].

الرابع - أنه تعالى وصف أبا بكر بكونه صاحبًا للرسول وذلك يدل على كمال الفضل، قال الحسين بن فضيل البجلي: «من أنكر أن يكون أبو بكر صاحب رسول الله ﷺ: كان كافرًا لأن الأمة مُجمعة على أن المراد من: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ هو أبو بكر وذلك يدل على أن الله تعالى وصفه بكونه صاحبًا له».

الخامس- من الوجوه الدالة على فضل أبي بكر من هذه الآية إطباق الكل على أن أبا بكر هو الذي اشترى الراحلة لرسول الله ﷺ وعلى أن عبد الرحمن ابن أبي بكر وأسماء بنت أبي بكر هما اللذان كانا يأتيانهما بالطعام؛ رُوِيَ أنه ﷺ قال: «**لقد كنت أنا وصاحبي في الغار بضعة عشر يومًا وليس لنا طعام إلا التمر**»، ولما أمر الله رسوله بالخروج إلى المدينة أظهره لأبي بكر فأمر ابنه عبد الرحمن أن يشتري جملين ورحلين وكسوتين ويفصل أحدهما للرسول ﷺ فلما قربا من المدينة وصل الخبر إلى الأنصار فخرجوا مسرعين فخاف أبو بكر أنهم لا يعرفون الرسول ﷺ فألبس رسول الله ثوبه ليعرفوا أن الرسول هو هو فلما دنوا خروا له سجدًا فقال لهم: «**اسجدوا لربكم وأكرموا أخًا لكم**».

سادسًا - أن رسول الله ﷺ حين دخل المدينة ما كان معه إلا أبو بكر والأنصار ما رأوا مع رسول الله ﷺ أحدًا إلا أبا بكر وذلك يدل على أنه كان يصطفيه لنفسه من بين أصحابه في السفر والحضر وأن أصحابنا زادوا عليه وقالوا: لما لم يحضر معه في ذلك السفر أحد إلا أبو بكر؟ فلو قدرنا أنه توفى رسول الله ﷺ في ذلك السفر لزم أن لا يقوم بأمره إلا أبو بكر

وأن لا يكون وصيه على أمته إلا أبو بكر وأن لا يبلغ ما حدث من الوحي والتنزيل في ذلك الطريق إلى أمته إلا أبو بكر وكل ذلك يدل على الفضائل العالية والدرجات الرفيعة لأبي بكر[(١)]، ويري الشيخ محمد رشيد رضا: أنه قَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ وَمَا يُفَسِّرُهَا وَيَشْرَحُهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ مِمَّا دُونَهَا فِي الرِّوَايَةِ عَلَى مَنَاقِبَ وَفَضَائِلَ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، امْتَازَ بِهَا عَلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ نَذْكُرُ مِنْهَا مَا يَتَبَادَرُ إِلَى الْفَهْمِ بِغَيْرِ تَكَلُّفٍ لِبَدَاهَتِهِ، وَمِنْ غَيْرِ مُرَاعَاةِ تَرْتِيبٍ :

الأولي- أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمْ يَأْمَنْ عَلَى سِرِّهِ وَعَلَى نَفْسِهِ فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ الَّتِي كَانَتْ أَهَمَّ حَوَادِثِ رِسَالَتِهِ، وَأَشَدَّهَا خَطَرًا وَخَيْرَهَا عَاقِبَةً غَيْرَ صَاحِبِهِ الْأَوَّلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: إِنَّهُ لَمْ يَخْتَرْ لِصُحْبَتِهِ وَإِينَاسِهِ فِيهَا غَيْرَهُ.

الثَّانِيَةُ- أَنَّهُ ﷺ رَضِيَ أَنْ تَكُونَ نَفَقَةُ هَذِهِ الرَّاحِلَةِ مِنْ مَالِ أَبِي بَكْرٍ الَّذِي أَنْفَقَ جَمِيعَ مَالِهِ فِي خِدْمَتِهِ ﷺ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ تَكُونَ الرَّاحِلَةُ الَّتِي رَكِبَهَا بِالثَّمَنِ يَدْفَعُهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ- أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يَخْتَرْ فِي ذَلِكَ وَأَمْثَالِهِ إِلَّا مَا اخْتَارَهُ اللهُ تَعَالَى لَهُ، فَهَذَا تَفْضِيلٌ مِنَ الله عَزَّوَجَلَّ لِلصِّدِّيقِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ.

الرَّابِعَةُ- ذَكَرَهُ عَزَّوَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِهَذَا الثَّنَاءِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَمْ يُشَارِكْهُ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَقَامِ إِطْلَاقِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ وَالتَّوْبِيخِ لَهُمْ عَلَى تَثَاقُلِهِمْ عَنْ إِجَابَةِ

١- راجع: «التفسير الكبير» [ج١٦/ ص٥١- ٥٤].

اسْتِنْفَارِ رَسُولِهِ ﷺ إِيَّاهُمْ بِأَمْرِهِ أَمْرُهُ ﷺ عَلِيًّا -كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ- أَنَّ يُبَلِّغَ النَّاسَ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ هَذِهِ الْآيَةَ فِي جُمْلَةِ مَا بَلَّغَهُ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ (بَرَاءَةٌ)، كَمَا تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ تَفْسِيرِ السُّورَةِ، وَفِي ذَلِكَ حِكَمٌ بَالِغَةٌ تَقْطَعُ كُلَّ وَتِينٍ مِنْ قُلُوبِ الرَّافِضَةِ، وَإِنْ لَمْ تَقْطَعْ أَلْسِنَتَهُمُ الْكَاذِبَةَ الْخَاطِئَةَ.

الْخَامِسَةُ- أَمْرُهُ ﷺ عَلِيًّا -كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ- أَنَّ يُبَلِّغَ النَّاسَ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ هَذِهِ الْآيَةَ فِي جُمْلَةِ مَا بَلَّغَهُ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ (بَرَاءَةٌ)، كَمَا تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ تَفْسِيرِ السُّورَةِ، وَفِي ذَلِكَ حِكَمٌ بَالِغَةٌ تَقْطَعُ كُلَّ وَتِينٍ مِنْ قُلُوبِ الرَّافِضَةِ، وَإِنْ لَمْ تَقْطَعْ أَلْسِنَتَهُمُ الْكَاذِبَةَ الْخَاطِئَةَ.

السَّادِسَةُ- قَوْلُهُ تَعَالَى فِي رَسُولِهِ ﷺ وَفِيهِ: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾، فَهَذَا الْقَوْلُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي خِطَابِ جَمْعِ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الْمَقَامِ، وَالسِّيَاقُ فِيهِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى فَضْلِ هَذَيْنِ الِاثْنَيْنِ، وَكَوْنُ الصِّدِّيقُ هُوَ الثَّانِي فِي الْمَرْتَبَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي كُلِّ مَا يَقْتَضِيهِ الْمَقَامُ لِلْهِجْرَةِ الشَّرِيفَةِ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْمَزَايَا.

السَّابِعَةُ- وَهِيَ تُؤَيِّدُ مَا تَضَمَّنَهُ مَعْنَى الِاثْنَيْنِيَّةِ مِنْ رِفْعَةِ الْمَقَامِ، قَوْلُهُ ﷺ لَهُ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**»، وَإِنَّهَا لَمَنْقَبَةٌ تَتَضَاءَلُ دُونَهَا الْمَنَاقِبُ، وَمَرْتَبَةٌ تَنْحَدِرُ عَنْ عُلْيَا سَمَائِهَا الْمَرَاتِبُ، أَكْبَرُ أَعْلَمِ رُسُلِ اللهِ بِاللهِ أَمَرَّهَا، وَهُوَ أَعْلَمُ بِقَدْرِهَا، فَإِنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ** -بِكَذَا-» يُرَادُ بِهِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَحُومَ الظُّنُونُ أَوْ تَنْتَهِيَ الْآرَاءُ وَالْأَفْكَارُ إِلَى شَأْنٍ أَعْلَى مِنْ شَأْنِهَا، وَمَنَعَةٍ أَعَزَّ مِنْ مَنَعَتِهَا... إِلَخْ.

الثَّامِنَةُ- حِكَايَةُ رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ لِقَوْلِ رَسُولِهِ ﷺ الَّذِي خَتَمَ بِهِ النَّبِيِّينَ، وَأَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، لِهَذَا الصَّاحِبِ الصِّدِّيقِ الْمَكِينِ: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾،

فَهِيَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ قَالَ لَهُ ذَلِكَ بِإِذْنِهِ تَعَالَى وَوَحْيِهِ، لَا مِنْ حُسْنِ ظَنِّهِ ﷺ بِرَبِّهِ وَاجْتِهَادِ رَأْيِهِ، عَلَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ اجْتِهَادًا أَقَرَّهُ رَبُّهُ عَلَيْهِ وَحَكَاهُ عَنْهُ، وَجَعَلَهُ مِمَّا يَتَعَبَّدُ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، لَكَانَتْ قِيمَتُهُ فِي غَايَتِهِ، بِمَعْنَى مَا كَانَ عَنِ الْوَحْيِ مُنْذُ بِدَايَتِهِ.

وَهَذَا يؤكد أن الْمَعِيَّةِ مَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ مِنْ نَوْعِ الْمَعِيَّةِ الَّتِي أَيَّدَ اللهُ بِهَا مُوسَى وَهَارُوْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، إِلَّا أَنَّهَا أَعْلَى فِي ذَاتِهَا وَشَخْصِهَا مِنْ كُلِّ أَفْرَادِ هَذَا النَّوْعِ، فَالْمَعِيَّةُ الْإِلَهِيَّةُ مَعْنًى إِضَافِيٌّ، وَيَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ مَوْضُوعِهِ وَمُتَعَلِّقِهِ، فَمَعِيَّةِ الْعِلْمِ عَامَّةٌ وَهِيَ لَا تَشْرِيفَ فِيهَا لِأَهْلِهَا بَلْ هِيَ تَهْدِيدٌ لَهُمْ، وَإِنْذَارٌ بِأَنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عَلَى كُلِّ مَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ، وَأَنَّهُ سَيُحَاسِبُهُمْ عَلَيْهِ وَيَجْزِيهِمْ بِهِ، وَأَعْلَى مِنْهَا مَعِيَّتُهُ تَعَالَى لِلْمُتَّقِينَ وَالْـمُحْسِنِينَ، وَهِيَ تَتَضَمَّنُ مَعْنَى التَّوْفِيقِ وَاللُّطْفِ، فَفِيهَا شَرَفٌ عَظِيمٌ، وَأَعْلَى مِنْهَا مَعِيَّتُهُ عَزَّوَجَلَّ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فِي مَقَامِ التَّأْيِيدِ عَلَى الْأَعْدَاءِ الْـمُنَاوِئِينَ، وَهِيَ أَعْلَى الْأَنْوَاعِ، وَلَمْ يَثْبُتْ لِأَحَدٍ مِنْ غَيْرِهِمْ حَظٌّ مِنْهَا إِلَّا مَا ثَبَتَ لِلصِّدِّيقِ هُنَا[1].

فلاريب إذن في أن الفضيلة التي حصلت لأبي بكر في الهجرة -كما يقول ابن تيمية-: «لم تحصل لغيره من الصحابة بالكتاب والسنة والإجماع فتكون هذه الأفضلية ثابتة له دون عمر و عثمان وعلى وغيرهم من الصحابة فيكون هو الإمام فهذا هو الدليل الصدق الذي لا كذب فيه، ومثل هذه الفضيلة لم تحصل لغير أبي بكر قطعًا بخلاف الوقاية بالنفس فإنها لو كانت صحيحة فغير واحد من الصحابة وقى النبي ﷺ بنفسه وهذا واجب على كل مؤمن ليس من الفضائل المختصة بالأكابر من الصحابة.

١- راجع: «تفسير المنار» [ج ١٠/ ص ٣٤٨ -٣٨٧].

والأفضلية إنما تثبت بالخصائص لا بالمشتركات يبين ذلك انه لم ينقل أحد أن عليًّا أوذي في مبيته على فراش النبي ﷺ وقد أوذي غيره في وقايتهم النبي ﷺ تارة بالضرب وتارة بالجرح وتارة بالقتل فمن فداه وأوذي أعظم ممن فداه ولم يؤذ، وقد قال العلماء: ما صح لعليٍّ من الفضائل فهي مشتركة شاركه فيها غيره بخلاف الصديق فإن كثيرًا من فضائله وأكثرها خصائص له لا يُشاركه فيها غيره[١].

***

١ - «منهاج السنة النبوية» [٧/ ص١٢١].

المطلب الثاني

وصف الصديق بقوله تعالى:

﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾

وتحقق هذا الوصف

قوله تعالى: ﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني: قد نصره الله في الوقت الذي أخرجه الذين كفروا من مكة، وإسناد الإخراج إليهم إسناد إلى السبب البعيد فإن الله تعالى قد أذن له ﷺ بالخروج حين كان منهم ما كان فخرج ﷺ بنفسه لكن بإلجائهم إلى ذلك حتى فعله فنسب الفعل إليهم ورتب الحكم فيه عليهم، وقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ أي: أحد اثنين وهذا كثالث ثلاثة ورابع أربعة فإذا اختلف اللفظ فقلت رابع ثلاثة وخامس أربعة فالمعنى صير الثلاثة أربعة بنفسه والأربعة خمسة وهو منصوب على الحال أي أخرجوه منفردًا من جميع الناس إلا من أبي بكر والعامل فيها نصره الله، أي نصره منفردًا ونصره أحد اثنين وقال علي بن سليمان: «التقدير: فخرج ثاني اثنين مثل ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾».

﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ حال من ضميره ﷺ، أي: أحد اثنين من غير اعتبار كونه ﷺ ثانيًا، فإن معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع أربعة ونحو ذلك أحد هذه الأعداد مطلقًا، لا الثالث والرابع خاصة، ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ بدل من ﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ﴾ بدل البعض، إذ المراد به زمان متسع فلا يتوهم التغاير المانع من البدلية وقيل: إنه ظرف لـ ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾[1].

١- راجع المصدر السابق [ج١٦/ ص٥١]، و«تفسير القرطبي» [ج٨/ ص١٤٣]، و«روح المعاني» [ج١٠/ ص٩٧].

ويذكر الرازي في قوله تعالى ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾: «أنه نصب على الحال، أي في الحال التي كان فيها ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ وتحقيق القول فيه أنه إذا حضر اثنان فكل واحد منهما يكون ثانيًا في ذينك الاثنين للآخر فلهذا السبب قالوا: «يُقال: فلان ثاني اثنين، أي هو أحدهما».

قال صاحب (الكشاف): «﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ أحد اثنين، كقوله: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾، فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا التَّعْبِيرِ لَا يُعْتَبَرُ فِيهِ الْأَوَّلِيَّةُ وَلَا الْأَوْلَوِيَّةُ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا ثَانٍ لِلْآخَرِ، وَمِثْلُهُ: ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَرَابِعُ أَرْبَعَةٍ لَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا أَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ بِهِ تَمَّ هَذَا الْعَدَدُ، عَلَى أَنَّ التَّرْتِيبَ فِيهِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالزَّمَانِ أَوِ الْمَكَانِ، وَهُوَ لَا يَدُلُّ عَلَى تَفْضِيلِ الْأَوَّلِ عَلَى الثَّانِي، وَلَا الثَّالِثِ أَوِ الرَّابِعِ عَلَى مَنْ قَبْلَهُ، وجاء في حَدِيثِ الشَّيْخَيْنِ: «**مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**» وهما رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و﴿إِذۡ هُمَا﴾ بدل من (إذ) أخرجه، والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمين مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثًا، ﴿إِذۡ يَقُولُ﴾ بدل ثان، وقيل: طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على رسول الله ﷺ»(١).

قال طائفة من أهل العلم كأبي القاسم السهيلي وغيره في قوله تعالى ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾: «أن هذه المعية الخاصة لم تثبت لغير أبي بكر وكذلك قوله: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**» بل ظهر اختصاصهما في اللفظ كما ظهر في المعنى فكان يقال للنبي محمد رسول الله ﷺ، فلما تولى أبو بكر بعده صاروا يقولون وخليفة رسول الله فيضيفون الخليفة إلى رسول الله المضاف إلى الله والمضاف إلى المضاف مضاف تحقيقًا لقوله: ﴿إِنَّ

---

١ - «التفسير الكبير» [ج١٦/ ص٥١]، «الكشاف»، [ج٢/ ص٢٥٩]، «تفسير المنار» [ج١٠/ ص ٣٦٩].

ﱡﭐﲯ ﲰﱠ وقوله: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟» ثم لما تولى عمر بعده صاروا يقولون: أمير المؤمنين فانقطع الاختصاص الذي امتازه به أبو بكر عن سائر الصحابة، وكانوا يسمونه خليفة رسول الله ﷺ ثم انقطع هذا الاتصال اللفظي بموته[1].

فقد خرَّج الترمذي من حديث نبيط بن شريط عن سالم بن عبيد له صحبة قال: «أُغمِيَ على رسول الله ﷺ» الحديث، وفيه: «واجتمع المهاجرون يتشاورون فقالوا: انطلقوا بنا إلى إخواننا من الأنصار ندخلهم معنا في هذا الأمر، فقالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :من له مثل هذه الثلاث ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ﴾ من هما؟ قال: ثم بسط يده فبايعه وبايعه الناس بيعة حسنة جميلة»، ولهذا يذكر القرطبي أن بعض العلماء قال: «في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ ما يدل على أن الخليفة بعد النبي ﷺ هو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأن الخليفة لا يكون أبدًا إلا ثانيًا»، وسمعت شيخنا الإمام أبا العباس أحمد بن عمر يقول: «إنما استحق الصديق أن يقال له: «﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ لقيامه بعد النبي ﷺ بالأمر كقيام النبي ﷺ به أولًا وذلك أن النبي ﷺ لما مات ارتدت العرب كلها ولم يبق الإسلام إلا بالمدينة ومكة وجواثًا (في الإحساء) فقام أبو بكر يدعو الناس إلى الإسلام ويقاتلهم على الدخول في الدين كما فعل النبي ﷺ فاستحق من هذه الجهة أن يقال في حقه «﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾».

ويُعَقِّب القرطبي بقوله: «وقد جاء في (السُنة) أحاديث صحيحة يدل ظاهرها على أنه الخليفة بعده وقد انعقد الإجماع على ذلك ولم يبق منهم مخالف والقادح في خلافته

١- «منهاج السنة النبوية » [٨/ ص٣٨٢].

مقطوع بخطئه وتفسيقه وهل يكفر أم لا يختلف فيه والأظهر تكفيره، والذي يقطع به من الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة، ويجب أن تؤمن به القلوب والأفئدة فضل الصديق على جميع الصحابة، ولا مبالاة بأقوال أهل الشيع ولا أهل البدع فإنهم بين مكفر تضرب رقبته وبين مبتدع مفسق لا تقبل كلمته»[١].

ويري الفخر الرازي أنه تعالى سماه ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ فجعل ثاني محمد ﷺ حال كونهما في الغار، والعلماء أثبتوا أنه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ كان ثاني محمد في أكثر المناصب الدينية فإنه ﷺ لما أرسل إلى الخلق وعرض الإسلام على أبي بكر آمن أبو بكر ثم ذهب وعرض الإسلام على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وجماعة آخرين من أجلة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ والكل آمنوا على يديه، ثم إنه جاء بهم إلى رسول الله ﷺ بعد أيام قلائل فكان هو رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ في الدعوة إلى الله، وأيضًا كلما وقف رسول الله ﷺ في غزوة كان أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ يقف في خدمته ولا يفارقه فكان ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ في مجلسه، ولما مرض رسول الله ﷺ قام مقامه في إمامة الناس في الصلاة فكان ثاني اثنين، ولما توفي دفن بجنبه فكان ثاني اثنين هناك أيضًا[٢].

أما قوله تعالى: ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾، الغار: ثقب في الجبل يعني غار ثور ولما رأت قريش أن المسلمين قد صاروا إلى المدينة قالوا: «هذا شر شاغل لا يطاق» فأجمعوا أمرهم على قتل رسول الله ﷺ فبيتوه ورصدوه على باب منزله طول ليلتهم ليقتلوه إذا خرج فأمر النبي ﷺ على بن أبي طالب أن ينام على فراشه ودعا الله أن يعمي عليهم أثره فطمس الله على أبصارهم فخرج وقد غشيهم النوم فوضع على رؤوسهم ترابًا ونهض فلما

١- «تفسير القرطبي» [ج٨/ ص١٤٧ -١٤٨].
٢- «التفسير الكبير» [ج١٦/ ص٥٢].

أصبحوا خرج عليهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأخبرهم أن ليس في الدار أحد فعلموا أن رسول الله ﷺ قد فات ونجا وتواعد رسول الله ﷺ مع أبي بكر الصديق للهجرة فدفعا راحلتيهما إلى عبد الله بن أرقط -ويُقال: بن أريقط- وكان كافرًا لكنهما وثقا به وكان دليلًا بالطرق فاستأجراه ليدل بهما إلى المدينة وخرج رسول الله ﷺ من خوخة في ظهر دار أبي بكر التي في بني جمح ونهضا نحو الغار في جبل ثور وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يستمع ما يقول الناس وأمر مولاه عامر بن فهيرة أن يرعى غنمه ويريحها عليهما ليلًا فيأخذ منها حاجتهما ثم نهضا فدخلا الغار وكانت أسماء بنت أبي بكر الصديق تأتيهما بالطعام ويأتيهما عبد الله بن أبي بكر بالأخبار ثم يتلوهما عامر بن فهيرة بالغنم فيعفي آثارهما فلما فقدته قريش جعلت تطلبه بقائف معروف بقفاء الأثر حتى وقف على الغار فقال هنا انقطع الأثر فنظروا فإذا بالعنكبوت قد نسج على فم الغار من ساعته ولهذا نهى النبي ﷺ عن قتله، فلما رأوا نسج العنكبوت أيقنوا أن لا أحد فيه فرجعوا وجعلوا في النبي ﷺ مائة ناقة لمن رده عليهم، الخبر مشهور، وقصة سراقة بن مالك بن جعشم في ذلك مذكورة وقد روي من حديث أبي الدرداء وثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن الله عَزَّ وَجَلَّ أمر حمامة فباضت على نسج العنكبوت وجعلت ترقد على بيضها فلما نظر الكفار إليها ردهم ذلك عن الغار(١).

***

١- «تفسير القرطبي» [ج٨/ ص١٤٤ - ١٤٥].

المطلب الثالث

النص على صحبة الصديق في القرآن

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ بدل ثان، وقيل أول: ﴿لِصَاحِبِهِ﴾ وهو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد أخرج الدارقطني وابن شاهين وابن مردويه وغيرهم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَنْتَ صَاحِبِي فِي الْغَارِ، وَأَنْتَ مَعِي عَلَى الْحَوْضِ**».

وأخرج ابن عساكر من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأبي هريرة مثله وأخرج هو وابن عدي من طريق الزهري عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لحسان: «**هَلْ قُلْتَ فِي أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا؟**» قال: نعم، قال: «**قُلْ وَأَنَا أَسْمَعُ**»، فقال حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَثَانِيَ اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ الْمُنِيفِ ... وَقَدْ طَافَ الْعَدُوُّ بِهِ إِذْ يَصْعَدُ الْجَبَلا

وَكَانَ حِبَّ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا ... مِنَ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَعْدُلْ بِهِ رَجُلا

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: «**صَدَقْتَ يَا حَسَّانُ، هُوَ كَمَا قُلْتَ**»[1]، ويذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ أن هذه الآية تضمنت فضائل الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث روى أصبغ وأبو زيد عن ابن القاسم عن مالك: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ هو الصديق قال فرأيت مالكًا يرفع بأبي بكر جدا لهذه الآية،

---

١ -«روح المعاني» [ج١٠/ ص٩٧]، ويذكر الآلوسي أنه لم يخالف في ذلك أحد حتى الشيعة فيما أعلم.

قال القاضي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فحق أن يرفع مالك أبا بكر بهذه الآية ففيها عدة فضائل مختصة لم تكن لغيره منها قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ﴾ فحقق له تعالى قوله له بكلامه ووصف الصُحبة في كتابه متلوا إلى يوم القيامة.

ومنها قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ وفي الحديث الصحيح: أن النبي قال لأبي بكر في الغار: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**»، وهذه مرتبة عظمى وفضيلة شمَّاء لم يكن لبشر أن يخبر عن الله سبحانه أنه ثالث اثنين أحدهما أبو بكر كما أنه قال مخبرًا عن النبي وأبي بكر ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾.

قال بعض العلماء: «من أنكر أن يكون عمر وعثمان أو أحد من الصحابة صاحب رسول الله ﷺ فهو كذاب مبتدع، ومن أنكر أن يكون أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ صاحب رسول الله ﷺ فهو كافر لأنه رد نص القرآن»[١].

وهذا يدل على أن صاحبه كان مشفقًا عليه محبًا له ناصرًا له حيث حزن وإنما يحزن الإنسان حال الخوف على من يحبه وأما عدوه فلا يحزن إذا انعقد سبب هلاكه فلو كان أبو بكر مبغضًا كما يقول المفترون لم يحزن ولم ينه عن الحزن بل كان يضمر الفرح والسرور ولا كان الرسول يقول له: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[٢].

وحِكَايَةُ الله عَزَّوَجَلَّ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَهُ: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ فَكَوْنُهُ ﷺ يُعْنَى بِتَسْلِيَتِهِ وَطَمْأَنَتِهِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَإِخْبَارُ الله بِذَلِكَ فِيمَا يُتَعَبَّدُ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَمْرٌ أَعْظَمُ،

١- «تفسير القرطبي» [ج٨/ ص١٤٦]، «أحكام القرآن» لابن العربي [ج٢/ ص٥١٢].

٢- «منهاج السنة النبوية» [ج٨/ ص٤٢٨].

وَنَاهِيكَ بِتَعْلِيلِهِ بِمَا عَلَّلَهُ بِهِ مِنْ مَعِيَّةِ الله عَزَّوَجَلَّ لَهُمَا، وَهَذَا النَّهْيُ عَنِ الْحُزْنِ لَمْ يَرِدْ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنَ الْقُرْآنِ خِطَابًا مِنْ قَبْلِهِ تَعَالَى إِلَّا لِلنَّبِيِّ الْأَعْظَمِ ﷺ وَوَرَدَ خِطَابًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِلُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ عَلَّلَ فِي آخِرِ سُورَةِ (النَّحْلِ) بِمَعِيَّةِ الله تَعَالَى لِلْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ، وَعَلَّلَ هُنَا بِالْمَعِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَخَصُّ مِنْهَا وَأَعْلَى، وقوله: ﴿لَا تَحْـزَنْ﴾ نهي عن الحزن مطلقًا والنهي يوجب الدوام والتكرار وذلك يقتضي أن لا يحزن أبو بكر بعد ذلك البتة قبل الموت وعند الموت وبعد الموت[1].

وهكذا اِثْبَتُ الله تَعَالَى صُحْبَتَهُ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي أَعْظَمِ مَوَاطِنِ بَعْثَتِهِ، وَأَطْوَارِ نُبُوَّتِهِ، وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَرَدَ فِي فَضَائِلِ الْهِجْرَةِ آيَاتٌ وَأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ، وَقَدْ ثَبَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلُ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَنَّهُ امْتَازَ بِهِجْرَتِهِ مَعَ الرَّسُولِ نَفْسِهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَرَغْبَتِهِ ﷺ مِنْ قَبْلِ الْإِذْنِ الْإِلَهِيِّ لَهُ، إِذْ مَنَعَ أَبَا بَكْرٍ مِنَ الْهِجْرَةِ وَحْدَهُ انْتِظَارًا مِنْهُ لِإِذْنِ الله تَعَالَى لَهُ بِهِجْرَتِهِ مَعَه.

فَلَا غَرْوَ أَنْ يَكُونَ لَهُ كُلُّ مَا عَلِمْنَا مِنَ الْمَزَايَا فِي الْهِجْرَةِ، وَأَنْ يَكُونَ بِهَا أَفْضَلُ الْمُهَاجِرِينَ بَعْدَ سَيِّدِ الْمُهَاجِرِينَ ﷺ، وَأَنْ تَكُونَ صُحْبَتُهُ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ مِنْ صُحْبَةِ غَيْرِهِ، وَفِي قَوْلِهِ ﷺ فِي حَدِيثِ مُغَاضَبَةِ عَمَرَ لَهُ عَلَى مَسْمَعٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: «**فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي**» إِشْعَارٌ بِأَنَّ الصَّاحِبَ الْأَكْمَلَ لَهُ ﷺ، فَهُوَ قَدْ أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا أَضَافَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ فِي كِتَابِهِ، إِذِ الْإِضَافَةُ هُنَا كَالْإِضَافَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾

١- راجع: «التفسير الكبير» [ج١٦/ ص٥٣]، «تفسير المنار» [ج١٠/ ص ٣٨٨ - ٣٨٩].

إِضَافَةُ تَشْرِيفٍ وَاخْتِصَاصٍ، فَإِنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ عَبِيدُ الله ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ: «إِنَّ مَنْ أَنْكَرَ صُحْبَةَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلرَّسُولِ ﷺ يُحْكَمُ بِرِدَّتِهِ عَنِ الْإِسْلَامِ؛ لِتَكْذِيبِهِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ».

وَهَاتَانِ مَنْقَبَتَانِ فِي الصُّحْبَةِ وَالْهِجْرَةِ، وَقَدْ يُثَلِّثُهُمَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ ﷺ حِينَ وَصَلَ إِلَى دَارِ الْهِجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ غَيْرُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَآهُ مَعَهُ جَمَاعَةُ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَوَّلَ جَمَاعَةٍ، وَأَوَّلُ جُمُعَةٍ ظَهَرَتْ بِهَا شَعَائِرُ الْإِسْلَامِ[١].

***

١- راجع: «تفسير المنار» [ج١٠/ ص ٣٨٧ - ٣٨٨].

المطلب الرابع

بركات المعية التي لحقت بالصديق في قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾

يقول تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ أي: رسول الله ﷺ، ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾ أي: أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وثوقًا بربه غير منزعج من شيء، ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ و(الحزن): هم غليظ بتوجع يرق له القلب، ثم علل نهيه لصاحبه بقوله معبرًا بالاسم الأعظم مستحضرًا لجميع ما جمعه من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي تخضع دونها صلاب الرقاب وتندك بعظمتها شوامخ الجبال الصلاب، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: الذي له الأمر كله، ﴿مَعَنَا﴾: أي بالعون والنصرة، وهو كاف لكل مهم، قوي على دفع ملم، فالذي تولى نصره بالحراسة في ذلك الزمان كان قادرًا على أن يأمر الجنود التي أيده بها أن تهلك الكفار في كل موطن من غير أن يكون لكم في ذلك أمر أو يحصل لكم به أخر، وكما أنه كان موجودًا في ذلك الزمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى هو على ذلك في هذا الزمان وكل زمان، فتبين كالشمس أن النفع في ذلك إنما هو خاص بكم، وأنه سبحانه ما رتب هذا كله على هذا المنوال إلا لفوزكم.

وفي هذه الآية من التنويه بمقدار الصديق وتقدمه وسابقته في الإسلام وعلو منصبه وفخامة أمره ما لا يعلمه إلا الذي أعطاه إياه؛ قال أبو حيان وغيره: «قال العلماء: من أنكر صحبة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كفر لإنكاره كلام الله، وليس ذلك لسائر الصحابة»[1].

١- راجع: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» لبرهان الدين البقاعي [ج / ص٣١٩]، و«تفسير البحر المحيط» [ج٥/ ص٤٥٣٢٠].

فقوله تعالى ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾: بالنصر والرعاية والحفظ والكلاءة، وبالعصمة والمعونة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الحزن وما هو المشهور من اختصاص (مع) بالمتبوع فالمراد بما فيه من المتبوعية هو المتبوعية في الأمر المباشر، وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وسابقة صحبته ما لا يخفى ولذلك قالوا: «من أنكر صُحبة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد كفر؛ لإنكاره كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»، فهي إذن معية مخصوصة، وإلا فهو تعالى مع كل واحد من خلقه، وقول النبي ﷺ له: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**»، قال المحاسبي: «يعني معهما بالنصر والدفاع لا على معنى ما عم به الخلائق»، فقال: ﴿**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ**﴾ [المجادلة:٦] فمعناه العموم أنه يسمع ويرى من الكفار والمؤمنين»[١].

وَمَنْ كَانَ اللهُ تَعَالَى مَعَهُ بِعِزَّتِهِ الَّتِي لَا تُغْلَبُ وَقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا تُقْهَرُ، وَرَحْمَتِهِ الَّتِي قَامَ وَيَقُومُ بِهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَهُوَ حَقِيقٌ بِأَلَّا يَسْتَسْلِمَ لِحُزْنٍ وَلَا خَوْفٍ.

وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْمَعِيَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ أَعْلَى مِنْ مَعِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ لِلْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٦-١٢٧]، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْمَعِيَّةَ فِي آيَةِ سُورَةِ النَّحْلِ لِجَمَاعَةِ الْمُتَّقِينَ الْمُجْتَنِبِينَ لِمَا يَجِبُ تَرْكُهُ وَالْمُحْسِنِينَ لِمَا يَجِبُ فِعْلُهُ، فَهِيَ مُعَلَّلَةٌ بِوَصْفٍ مُشْتَقٍّ هُوَ مُقْتَضَى سُنَّةِ اللهِ فِي عَالَمِ الْأَسْبَابِ لِكُلِّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ الْخِطَابُ فِي النَّهْيِ عَنِ الْحُزْنِ قَبْلَهَا لِلرَّسُولِ ﷺ.

١- «تفسير القرطبي» [ج٨/ ص١٤٦]، و«تفسير أبي السعود» [ج٤/ ص٦٦].

وَأَمَّا الْمَعِيَّةُ هُنَا فَهِيَ لِذَاتِ الرَّسُولِ وَذَاتِ صَاحِبِهِ غَيْرُ مُقَيَّدَةٍ بِوَصْفٍ هُوَ عَمَلٌ لَهَا بَلْ هِيَ خَاصَّةٌ بِرَسُولِهِ وَصَاحِبِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ صَاحِبُهُ، مَكْفُولَةٌ بِالتَّأْيِيدِ بِالْآيَاتِ، وَخَوَارِقِ الْعَادَاتِ، وَكِبَرِ الْعِنَايَاتِ، إِذْ لَيْسَ الْمَقَامُ بِمَقَامِ سُنَنِ اللهِ فِي الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ، الَّتِي يُوَفَّقُ لَهَا الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ الْمُتْقِنِينَ لِلْأَعْمَالِ. يُعْلَمُ هَذَا التَّفَاوُتُ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ مِنَ الْحَقِّ الْوَاقِعِ إِنْ لَمْ يُعْلَمْ مِنَ اللَّفْظِ وَحْدَهُ، وَهِيَ مِنْ قَبِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى لِمُوسَى وَهَارُونَ؛ إِذْ أَرْسَلَهُمَا إِلَى فِرْعَوْنَ فَأَظْهَرَا الْخَوْفَ مِنْ بَطْشِهِ بِهِمَا: ﴿ **فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ** ﴾ [طه: ٤٥-٤٦].

وَقَدْ كَانَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ أَكْمَلَ مِنْهُمَا إِذْ لَمْ يَخَفْ مِنْ قَوْمِهِ الْخَارِجِينَ فِي طَلَبِهِ لِلْفَتْكِ بِهِ، وَكَانَ لِلصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ بِهِمَا إِذْ خَافَ عَلَى خَلِيلِهِ وَصَفِيِّهِ الَّذِي شَرَّفَهُ اللهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْفَذِّ بِصُحْبَتِهِ، وَإِنَّمَا نَهَاهُ ﷺ عَنِ الْحُزْنِ لَا عَنِ الْخَوْفِ، وَنَهَى اللهُ مُوسَى وَهَارُونَ عَنِ الْخَوْفِ لَا عَنِ الْحُزْنِ؛ لِأَنَّ الْحُزْنَ تَأَلُّمُ النَّفْسِ مِنْ أَمْرٍ وَاقِعٍ، وَقَدْ كَانَ نَهْيُهُ ﷺ إِيَّاهُ عَنْهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي أَدْرَكَ الْمُشْرِكُونَ فِيهِ الْغَارَ بِالْفِعْلِ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: «حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ لَأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمِهِ، فَقَالَ ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**»، وَأَمَّا الْخَوْفُ فَهُوَ انْفِعَالُ النَّفْسِ مِنْ أَمْرٍ مُتَوَقَّعٍ، وَقَدْ نَهَى اللهُ رَسُولَيْهِ عَنْهُ قَبْلَ وُقُوعِ سَبَبِهِ وَهُوَ لِقَاءُ فِرْعَوْنَ وَدَعْوَتُهُ إِلَى مَا أَمَرَهُمَا بِهِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْحُزْنِ يَسْتَلْزِمُ النَّهْيَ عَنِ

الْخَوْفِ، وَقَدْ كَانَ الصِّدِّيقُ خَائِفًا وَحَزِنًا كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الرِّوَايَاتُ، وَهُوَ مُقْتَضَى طَبْعِ الْإِنْسَانِ(١).

ولوعقدنا مقارنة بين قول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء:٦٢] وبين قول رسول الله ﷺ للصدِّيق: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ فلما كان الله مع موسى وحده لم تلحق أصحابه بركات المعية ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف:١٣٨] وارتد أصحابه بعده فرجع من عند ربه ووجدهم يعبدون العجل، ولما قال في محمد ﷺ: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ بقي أبو بكر مهتديًا موحدًا عالمًا جازمًا قائمًا بالأمر ولم يتطرق إليه اختلال(٢).

فقد سكن الصديق، ورأي المطاردين، يطوفون بالغار في خبال، ثم يرتدون عنده حياري وعميانا لم ينالوا شيئًا، تم له يومئذ إيمانه، واستوى على عرش اليقين يقينه، ولكأنما اختاره الله لصحبة الرسول في الهجرة لتريه هذا المشهد ليبلغ الصديق من عظته البالغة كل ما تبقي له من حظوظ إيمانه، جزاءْ وفاقًا، وكأسا دهاقًا، لن يظمأ بعدها أبدًا إلى إيمان ويقين، لقد بلغ إيمانه الذروة في لحظة الغار(٣).

بل ترقى الصديق في إيمانه من خلال قيامه بالتخفيف عن النبي ﷺ في غزوة بدر الكبري، وثباته معه في صلح الحديبية، وثباته وتثبيته للناس بعد وفاة النبي ﷺ، وثباته في مواجهة المرتدين حتى قال ابن مسعود: «لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقامًا كدنا نهلك

١- «تفسير المنار» [ج١٠/ ص ٣٦٩ - ٣٧٠].

٢- راجع: «أحكام القرآن » لابن العربي [ج٢/ ص٥١٣].

٣- راجع تفصيل ذلك: خالد محمد خالد، «خلفاء الرسول» [ص٦١]، دار المقطم للنشر والتوزيع - القاهرة [١٤١٥هـ-١٩٩٤م].

فيه لولا أن منَّ الله علينا بأبي بكر» فقد نقل الحافظ البيهقي بسنده أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أخبرته أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل، فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فيمم رسول الله وهو مسجى ببرد حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى ثم قال: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله، والله لا يجمع عليك موتتين أبدًا الموتة الأولى كتبت عليك فقدمتها».

قال الزهري: «وحدثني أبو سلمة عن ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فتشهد أبو بكر فأقبل الناس إليه فقال: أما بعد فمن كان منكم يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]»، قال الزهري: «وأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرفت أنه الحق فعقرت حتى ما تقلني رجلاي وحتى هويت إلى الأرض وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله قد مات» [ورواه البخاري عن يحيى ابن بكير][(١)].

وفي تنفيذ أبي بكر لجيش أسامة بن زيد يذكر الحافظ ابن كثير: «أنه لما مات رسول الله ﷺ عظم الخطب واشتد الحال ونجم النفاق بالمدينة وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة وكانت جواثا من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق» كما في (صحيح البخاري) عن ابن عباس.

١- راجع: «البداية والنهاية» لابن كثير [ج٥/ ص٢٤٢].

وقد كانت ثقيف بالطائف ثبتوا على الإسلام لم يفروا ولا ارتدوا لما وقعت هذه الأمور أشار كثير من الناس على الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم لأن ما جهز بسببه في حال السلامة.

وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب فامتنع الصديق من ذلك وأبى أشد الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة وقال: «والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة وآمر الحرس يكونون حول المدينة»، فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم وقالوا ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة فقاموا أربعين يومًا ويقال سبعين يومًا ثم أتوا سالمين غانمين ثم رجعوا فجهزهم حينئذ مع الأحياء الذين أخرجهم لقتال المرتدة ومانعي الزكاة[1].

وقد تصدى الصديق لقتال أهل الردة ومانعي الزكاة، فقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم ثم هم بعد ذلك يزكون فامتنع الصديق من ذلك وأباه.

وقد روى الجماعة في كتبهم سوى ابن ماجه عن أبي هريرة أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: «علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، ... فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ،...**»، فقال أبو بكر: «والله لو منعوني عناقًا -وفي رواية: عقالًا- كانوا يؤدونه إلى رسول الله لأقاتلنهم على منعها إن الزكاة حق المال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة

١-«البداية والنهاية» [ج٦/ ص٣٠٤].

والزكاة»، قال عمر: «فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق -قلت: وقد قال الله تعالى-: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾»[1].

ويذكر ابن حزم أنه قد دري القريب والبعيد والعالم والجاهل والمؤمن والكافر من سائر الإسلام إذ كفر من كفر من أهل الأرض بعد موت النبي ﷺ وأذعن الجميع للبقية وقبول ما دعت اليه العرب حاشا أبا بكر.

فهل ثبت أحد ثبات أبي بكر على كلب العدو وشدة الخوف حتى دخلوا في الإسلام أفواجًا كما خرجوا منه أفواجا وأعطوا الزكاة طائعين وكارهين ولم تهله جموعهم ولا تضافرهم ولا قلة أهل الإسلام حتى أنار الله الإسلام وأظهره ثم هل ناطح كسرى وقيصر على أسرة ملكها حتى أخضع حدود فارس والروم وصرع جنودهم ونكس راياتهم وظهر الإسلام في أقطار الأرض وذل الكفر وأهله وشبع جائع المسلمين وعز ذليلهم واستغنى فقيرهم وصاروا أخوة لا اختلاف بينهم وقرؤوا القرآن وتفقهوا في الدين.

إن أبا بكر قد فاز بالقدح المعلى والمسبق المبرز والحظ الأسني في العلم والقرآن والجهاد والزهد والتقوى والخشية والصدقة والعتق والمشاركة والطاعة والسياسة فهذه وجوه الفضل كلها فهو بلاشك أفضل من جميع الصحابة كلهم[2].

***

١- راجع: المصدر السابق [ج٦/ ص٣١١ -٣١٢].

٢- «الفصل في الملل» [ج٤/ ص١١٢ - ١١٣].

المبحث الثاني

درء شبهات الرافضة ونقض مفترياتهم حول صُحبة الصديق في القرآن

ويشمل خمسة مطالب :

المطلب الأول: عرض شبهات الرافضة ونقل مفترياتهم في إجمال.

المطلب الثاني: شبهة في فهمهم لقوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ ﴾، ﴿ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾.

المطلب الثالث: شُبهة في فهمهم لقوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ ﴾.

المطلب الرابع: شُبهة في ادعائهم أن حزن أبي بكر من خلال قوله: ﴿ لَا تَحْزَنْ ﴾ يدل على نقصه.

المطلب الخامس: شُبهة في فهمهم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾.

المطلب الأول

عرض شبهات الرافضة ونقل مفترياتهم في إجمال

سبق أن ذكرت أنه قد استدل بالآية على فضل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو لعمري مما يدع الرافضي في جحر ضب أو مهامه قفر فإنها خرجت مخرج العتاب للمؤمنين ما عدا أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن العجيب أن الرافضة قد أنكروا دلالة الآية على شيء من الفضل في حق الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقالوا -على سبيل الإجمال-: «إن الدال على الفضل إن كان ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ فليس فيه أكثر من كون أبي بكر متمًا للعدد وإن كان ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ فلا يدل على أكثر من اجتماع شخصين في مكان وكثيرًا ما يجتمع فيه الصالح والطالح وإن كان ﴿لِصَاحِبِهِ﴾ فالصُحبة تكون بين المؤمن والكافر كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ و﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ﴾ بل قد تكون بين من يعقل وغيره كقوله إن الحمار مع الحمير مطية وإذا خلوت به فبئس الصاحب وإن كان ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ فيقال: لا يخلو إما أن يكون الحزن طاعة أو معصية لا جائز أن يكون طاعة وإلا لما نهى عنه ﷺ فتعين أن يكون معصية لمكان النهي وذلك مثبت خلاف مقصودكم على أن فيه من الدلالة على الجبن ما فيه».

وإن كان ﴿اللَّهَ مَعَنَا﴾ فيحتمل أن يكون المراد إثبات معية الله تعالى الخاصة له ﷺ وحده لكن أتى بـ (نا) سدًا لباب الإيحاش ونظير ذلك الإتيان بأو في قوله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، وإن كان ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ فالضمير فيه للنبي ﷺ؛ لئلا يلزم تفكيك الضمائر وحينئذ يكون في تخصيصه

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالسكينة هنا مع عدم التخصيص في قوله سبحانه : ﴿ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إشارة إلى ضد ما ادعيتموه.

وإن كان ما دلت عليه الآية من خروجه مع رسول الله ﷺ في ذلك الوقت فهو ﷺ لم يخرجه معه إلا حذرا من كيده لو بقي مع المشركين بمكة، وفي كون المجهز لهم بشراء الإبل عليا كرم الله تعالى وجهه إشارة لذلك، وإن كان شيئًا وراء ذلك فبينوه لنتكلم عليه انتهى كلامهم.

ولعمري -كما يقول العلامة الآلوسي- إنه أشبه بهذيان المحموم أو عربدة السكران ولولا أن الله سبحانه حكى في كتابه الجليل عن إخوانهم اليهود والنصارى ما هو مثل ذلك ورده رحمة بضعفاء المؤمنين ما كنا نفتح في رده فما أو نجري في ميدان تزييفه قلما[١].

ويذكر الفخر الرازي أن الروافض احتجوا بهذه الآية وبهذه الواقعة على الطعن في أبي بكر من وجوه ضعيفة حقيرة جارية مجرى إخفاء الشمس بكف من الطين فالأول قالوا: إنه ﷺ قال لأبي بكر: ﴿ لَا تَحْزَنْ ﴾ فذلك الحزن إن كان حقًا فكيف نهى الرسول ﷺ عنه وإن كان خطأً لزم أن يكون أبو بكر مذنبًا وعاصيًا في ذلك الحزن والثاني قالوا يحتمل أن يقال إنه استخلصه لنفسه لأنه كان يخاف منه أنه لو تركه في مكة أن يدل الكفار عليه وأن يوقفهم على أسراره ومعانيه فأخذه مع نفسه دفعًا لهذا الشر والثالث وإن دلت هذه الحالة على فضل أبي بكر إلا أنه أمر عليًا بأن يضطجع على فراشه ومعلوم أن الاضطجاع على فراش رسول الله ﷺ في مثل تلك الليلة الظلماء مع كون الكفار قاصدين قتل رسول الله ﷺ تعريض النفس للفداء فهذا العمل من على أعلى وأعظم من كون أبي بكر صاحبًا للرسول فهذه جملة ما ذكروه في ذلك الباب[٢].

١- «روح المعاني» [ج١٠/ ص١٠٠-١٠١].

٢- «التفسير الكبير» [ج١٦/ ص٥٥].

وينقل ابن تيمية عن ابن المطهر في هذا الشأن فيقول: «قال الرافضي: ما ورد فيه من الفضائل كآية الغار وكان أنيس رسول الله ﷺ في العريش يوم بدر وأنفق على النبي ﷺ وتقدم في الصلاة، قال: والجواب أنه لا فضيلة له في الغار لجواز أن يستصحبه حذرا منه؛ لئلا يظهر أمره، وأيضًا فإن الآية تدل على نقيضه لقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ فإنه يدل على خوره وقله صبره وعدم يقينه بالله تعالى وعدم رضا بمساواته النبي ﷺ وبقضاء الله وقدره ولأن الحزن إن كان طاعة استحال أن ينهى عنه النبي ﷺ وإن كان معصية كان ما ادعوه من الفضيلة رذيلة»[1]، وأيضًا فإن القرآن حيث ذكر إنزال السكينة على رسول الله ﷺ شرك معه المؤمنين إلا في هذا الموضع ولا نقص أعظم منه، قال الرافضي: «فهذه حال أدلة القوم فلينظر العاقل بعين الإنصاف وليقصد اتباع الحق دون اتباع الهوى ويترك تقليد الآباء والأجداد فقد نهى الله تعالى في كتابه عن ذلك ولا تلهيه الدنيا عن إيصال الحق إلى مستحقه ولا يمنح المستحق عن حقه فهذا آخر ما أردنا إثباته في هذه المقدمة».

والجواب: أن يقال في هذا الكلام من الأكاذيب والبهت والفرية ما لا يعرف مثله لطائفة من طوائف المسلمين ولاريب أن الرافضة فيهم شبه قوى من اليهود فإنهم قوم بهت ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة:٣٢]، وظهور فضائل شيخي الإسلام أبي بكر وعمر أظهر بكثير عند كل عاقل من فضل غيرهما فيريد هؤلاء الرافضة قلب الحقائق ولهم نصيب من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ [الزمر:٣٢]، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ

١- «منهاج السنة النبوية» [ج٨/ ص٣٦٤-٣٦٥].

ﵟٱلۡمُجۡرِمُونَﵞ [يونس ١٧] ونحو هذه الآيات، فإن القوم من أعظم الفرق تكذيبًا بالحق وتصديق بالكذب وليس في الأمة من يماثلهم في ذلك.

أما قوله «لا فضيلة في الغار»: فالجواب أن الفضيلة في الغار ظاهرة بنص القرآن لقوله تعالى: ﵟإِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاﵞ، فأخبر الرسول ﷺ أن الله معه ومع صاحبه كما قال لموسى وهارون: ﵟقَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰﵞ [طه:٤٦]، وقد أخرجا في (الصحيحين) من حديث أنس عن أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا»، فقال: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**»، وهذا الحديث مع كونه مما اتفق أهل العلم بالحديث على صحته وتلقيه بالقبول والتصديق فلم يختلف في ذلك اثنان منهم فهو مما دل القرآن على معناه يقول: ﵟإِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاﵞ[1].

ولنذكر بعض ما ورد في تفاسير الشيعة، ونبدأ بكتاب (الصافي في تفسير القرآن) (لملا محسن الكاشي) ومؤلف هذا التفسير هو محمد بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود، المعروف بملا محسن، وبالفيض الكاشي، وأحد غلاة الإمامية الإثنا عشرية، حيث قام بالطعن على أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مثلًا عند تفسيره لقوله تعالى: ﵟثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاﵞ... الآية، نجده لا يعترف بهذه المنقبة لأبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، بل ويحاول بكل جهوده أن يأخذ منها مغمزًا على أبي بكر، وذلك حيث يقول ما نصه: ﵟإِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦﵞ وهو أبو بكر، ﵟلَا تَحۡزَنۡﵞ لا تخف، ﵟإِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاﵞ بالعصمة والمعونة.. في (الكافي) عن الباقر

١- راجع: «منهاج السنة النبوية» [ج٨/ ص٣٦٦ - ٣٧٢].

أن رسول الله ﷺ أقبل يقول لأبي بكر في الغار: «اسكن فإن الله معنا، وقد أخذته الرعدة وهو لا يسكن، فلما رأى رسول الله حاله قال له: «**تريد أن أريك أصحابى من الأنصار في مجالسهم يتحدثون؟ وأريك جعفر وأصحابه في البحر يغوصون**»؟ قال: نعم، فمسح رسول الله ﷺ بيده على وجهه فنظر إلى الأنصار يتحدثون، وإلى جعفر وأصحابه في البحر يغوصون، فأضمر تلك الساعة أنه ساحر، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ أمنته التى تسكن إليها القلوب﴿ عَلَيۡهِ﴾.. في (الكافي) عن الرضا أنه قرأها: «على رسوله» قيل له: هكذا؟ قال: هكذا نقرؤها، وهكذا تنزيلها. والعياشى عنه: إنهم يحتجون علينا بقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ﴾ وما لهم في ذلك من حُجَّة، فوالله لقد قال الله: ﴿ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ وما ذكره فيها بخبر، قيل: هكذا تقرأونها؟ قال: هكذا قراءتها»[١].

وكذلك في تفسير القرآن (للسيد عبد الله العلوي) ومؤلف هذا التفسير هو السيد عبد الله بن محمد رضا، العلوى، الحسينى، الشهير بشبَّر، وُلِد بأرض النجف سنة ١١٨٨هـ (ثمان وثمانين ومائة بعد الألف من الهجرة النبوية).. ثم ارتحل مع والده إلى الكاظمية ومكث بها إلى أن مات سنة ١٢٤٢هـ (اثنتين وأربعين ومائتين بعد الألف من الهجرة). كان في نظر أصحابه من أعيان الشيعة وفضلائهم، فقيهًا، محدِّثًا، مفسِّرًا متبحرًا، جامعًا لعلوم كثيرة، آية في الأخلاق. تلقى العلم على والده، وعلى الإمام الكبير السيد محسن الأعرجى، وقد تتلمذ عليه خلق كثير، لأنهم كانوا يعتبرونه عَلَمًا من أعلام الشيعة، وشخصية علمية بارزة لها مكانها ومقدارها، حيث نلاحظ على المؤلف أنه يطعن على الصحابة ويرميهم بالكفر أو ما يقرب منه، ويجردهم من كل فضل نُسب إليهم في

١- راجع: «التفسير والمفسرون» للدكتور محمد حسين الذهبي [ج٢/ ص٢٧٢، ٢٨٢].

القرآن تنقيصًا لهم، وحطًا من قدرهم، فمثلًا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾... الآية، نجده يعرض عن تعيين هذا الذي صحب النبي ﷺ في هجرته، وهو أبو بكر، ثم يُصرِّح أو يُلمِّح بما ينقص من قدره، أو يذهب بفضله المنسوب إليه والمنوَّه به في القرآن الكريم فيقول: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ ﴾ حال أى معه واحد لا غير، ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ نقب في ثور، وهو جبل بقرب مكة، ﴿إِذْ ﴾ بدل ثان، ﴿يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ ﴾ -ولا مدح فيه إذ قد يصحب المؤمن الكافر كما قال: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾- ﴿ لاَ تَحْزَنْ﴾ فإنه خاف على نفسه وقُبض واضطرب حتى كاد أن يدل عليهما فنهاه عن ذلك، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ عالم بنا. ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ...﴾... إلى قوله ﴿إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ﴾: أى عالِمٍ بهم، ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ طمأنينته، ﴿عَلَيْهِ ﴾ على الرسول، وفى إقرانه ﷺ ههنا مع اشتراك المؤمنين معه حيث ذكرت ما لا يخفى، وجعل «الهاء» لصاحبه ينفيه كونها للرسول قبل وبعد... إلخ»[1].

وفي (تفسير تفسير القرآن) على بن ابراهيم القمي (ت القرن ٤ هـ) قوله: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ فإنه حدثني أبي عن بعض رجاله رفعه إلى أبي عبد الله قال لما كان رسول الله ﷺ في الغار قال لفلان: «**كأني أنظر إلى سفينة جعفر في أصحابه يقوم في البحر وأنظر إلى الأنصار محتسبين في أفنيتهم**» فقال فلان: وتراهم يا رسول الله؟ قال: «**نعم**» قال: فأرنيهم فمسح على

١- راجع: المصدر السابق [ج٢/ ص٢٩٢، ٢٩٥].

عينيه فرآهم، فقال في نفسه: الآن صدقت أنك ساحر» فقال له رسول الله: «**أنت الصديق**»، وقوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ قول رسول الله عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وفي تفسير (الصافي في تفسير كلام الله الوافي) الفيض الكاشاني (ت ١٠٩٠ هـ) في (الكافي) عن الباقر أن رسول الله عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أقبل يقول لأبي بكر في الغار: «**اسكن فإنّ الله معنا وقد أخذته الرّعدة وهو لا يسكن**» فلمّا رأى رسول الله عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حاله قال له: «**تريد أن أريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدّثون وأريك جعفرًا وأصحابه في البحر يغوصون**» قال: «نعم» فمسحَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بيده على وجهه فنظر إلى الأنصار يتحدّثون ونظر إلى جعفر وأصحابه في البحر يغوصون فأضمر تلك الساعة أنّه ساحر ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ أمنته التي تسكن إليها القلوب ﴿عَلَيۡهِ﴾، في (الكافي) عن الرضا أنّه قرأها على رسوله قيل له هكذا نقرؤها وهكذا تنزيلها. والعياشي عنه أنّهم يحتجون علينا بقول الله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ وما لهم في ذلكَ من حجّة فوالله لقد قال الله فأنزل الله سكينته على رسوله وما ذكره فيها بخير قيل هكذا تقرؤنها قال هكذا قرأتها[1].

***

١- راجع: «موقع التفاسير - تفاسير الشيعة الاثني عشرية».

المطلب الثاني

شُبهة في فهمهم لقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾

أما على سبيل التفصيل فقد أنكروا دلالة هذا القول الكريم على شيئ من الفضل في حق الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، حيث ذكروا أن الدال على الفضل إن كان ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ فليس فيه أكثر من كون أبي بكر متما للعدد وإن كان ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ فلا يدل على أكثر من اجتماع شخصين في مكان وكثيرًا ما يجتمع فيه الصالح والطالح حيث جاء مثلًا في (تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن) الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ما نصه: «وليس في الآية ما يدل على تفضيل أبي بكر، لأن قوله: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ مجرد الإخبار أن النبي ﷺ خرج ومعه غيره، وكذلك قوله: ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ خبر عن كونهما فيه».

يذكر الفخر الرازي أنه قد طعن بعض الحمقى من الروافض في هذا الوجه وقال: كونه ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ للرسول لا يكون أعظم من كون الله تعالى رابعًا لكل ثلاث في قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ﴾، ثم إن هذا الحكم عام في حق الكافر والمؤمن فلما لم يكن هذا المعنى من الله تعالى دالًا على فضيلة الإنسان فلأن لا يدل من النبي ﷺ على فضيلة الإنسان كان أولى، والجواب أن هذا تعسف بارد لأن المراد هناك كونه تعالى مع الكل بالعلم والتدبير وكونه مطلعًا على ضمير كل أحد أما ههنا فالمراد بقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ تخصيصه بهذه الصفة في معرض التعظيم، وأيضًا قد دللنا على أن كونه معه في هذا الموضع دليل قاطع على أنه ﷺ كان قاطعًا بأن باطنه كظاهره فأين أحد الجانبين من الآخر[1]، و لا يخفى أن ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾

١- راجع: «التفسير الكبير» [ج١٦/ ص٥٢]، «روح المعاني» [ج١٠/ ص١٠١].

وكذا ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ إنما يدلان بمعونة المقام على فضل الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا ندعي دلالتهما مطلقًا، ومعونة المقام أظهر من نار على علم ولا يكاد ينتطح كبشان في أن الرجل لا يكون ثانيًا باختياره لآخر ولا معه في مكان إذا فر من عدو ما لم يكن معولًا عليه متحققًا صدقه لديه لاسيما وقد ترك الآخر لأجله أرضًا حلَّت فيها قوابله وحلَّت عنه بها تمائمه وفارق أحبابه وجفا أترابه وامتطى غارب سبسب يضل بها القطا وتقصر فيه الخطا، ومما يدل على فضل تلك الإثنينية قوله ﷺ مسكنًا جأش أبي بكر: «**يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**»[1].

وقد ناقش الشيخ رشيد رضا الروافض في هذه النقطة، فخاطبهم بقوله: «إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَا فَضِيلَةَ لِلصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كَوْنِهِ مَعَ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ بِشَهَادَةِ رَبِّ الْعِزَّةِ، وَلَا فِي كَوْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ثَالِثُهُمَا؛ لِأَنَّ الْعَدَدَ لَا فَضِيلَةَ فِيهِ بِزَعْمِكُمْ مَهْمَا تَكُنْ قِيمَةُ الْمَعْدُودِ بِذَلِكَ الْعَدَدِ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَبِرَسُولِهِ ﷺ لَا يَقُولُونَ إِنَّ لَفْظَ «اثْنَيْنِ» أَوْ لَفْظَ «ثَانِيَ» أَوْ «ثَالِثُهُمَا»، لَهُ فَضِيلَةٌ فِي حُرُوفِهِ أَوْ تَرْكِيبِهَا أَوِ النُّطْقِ بِهِ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ إِنَّ الْفَضِيلَةَ لِلصِّدِّيقِ الْأَكْبَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمَعْدُودِ وَالْمُرَادُ بِلَفْظِ ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ فِي الْآيَةِ وَبِلَفْظِ: «**مَا قَوْلُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فِي اثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**» فِي الْحَدِيثِ، فَثَلَاثَةٌ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَحَدُهُمْ وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ثَانِيهِمْ يَكُونُ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَعْظَمُ الشَّرَفِ فِي أَنْ يَكُونَ ثَالِثَهُمْ -أَوْ كَمَا قُلْتُمْ مُتَمًّا لِلْعَدَدِ- وَيَزِيدُ هَذَا الشَّرَفَ الذَّاتِيَّ قِيمَةً أَنَّهُ لَيْسَ يَحْصُلُ مِثْلُهُ بِالْمُصَادَفَةِ، وَلَا بِالْكَسْبِ وَالسَّعْيِ، وَإِنَّمَا الَّذِي اخْتَارَهُ لَهُ هُوَ رَسُولُ اللهِ بِإِذْنِ اللهِ، وَالْمُخْبِرُ بِذَلِكَ هُوَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَلَوْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ- لَقُلْتُمْ فِي الثَّلَاثَةِ حِينَئِذٍ نَحْوًا مِمَّا قَالَتِ

١- «روح المعاني» [ج١٠/ ص١٠١].

النَّصَارَى فِي ثَالُوثِهِمْ (الْآبِ وَالِابْنِ وَرُوحِ الْقُدُسِ) كَمَا قُلْتُمْ فِي كَوْنِهِ -كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ- أَحَدُ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعَهُ ﷺ فِي حُنَيْنٍ، فَجَعَلْتُمْ هَذَا الثَّبَاتَ الَّذِي لَمْ يَنْفَرِدْ بِهِ، وَلَمْ يَثْبُتْ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، وَلَا بِحَدِيثٍ مَرْفُوعٍ، وَلَا مُرْسَلٍ مُتَوَاتِرٍ، حُجَّةً عَلَى كَوْنِهِ وَحْدَهُ دُونَ مَنِ اعْتَرَفْتُمْ بِثَبَاتِهِمْ مَعَهُ سَبَبًا لِلنَّصْرِ، وَإِنْقَاذِ الرَّسُولِ مِنَ الْقَتْلِ، وَبَقَاءِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي الْوُجُودِ، وَكَمَا فَعَلْتُمْ فِي حَدِيثِ مُؤَاخَاةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ، إِذْ فَضَّلْتُمُوهُ بِهِ عَلَى الصِّدِّيقِ وَغَيْرِهِ عَلَى حِينِ قَدْ ثَبَتَتْ تَسْمِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ الصِّدِّيقَ أَخًا لَهُ بِأَحَادِيثَ أَصَحَّ مِنْ ذَلِكَ الْحَدِيثِ كَقَوْلِهِ ﷺ: **«لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا دُونَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي»** [رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ]، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ عِنْدَهُ أَعْلَى مَنْزِلَةً مِنْ جَمِيعِ أُمَّتِهِ».

ثم يذكر أن مِنْ أَكْبَرِ جِنَايَاتِ الرَّوَافِضِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّهُمْ جَعَلُوا أَبَا بَكْرٍ وَعَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خَصْمَيْنِ، وَمَا وَرَدَ فِي مَنَاقِبِهِمَا مُعَارِضًا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، وَكُلُّ هَذَا بَاطِلٌ، فَمَا كَانَا إِلَّا أَخَوَيْنِ فِي اللهِ، وَفِي نَصْرِ رَسُولِهِ، وَإِقَامَةِ الْإِسْلَامِ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا مَقَامٌ مَعْلُومٌ، وَمَا وَرَدَ فِي مَنَاقِبِ عَلِيٍّ أَعْلَى اللهُ مَقَامَهُ أَكْثَرَ مِمَّا وَرَدَ فِي مَنَاقِبِ غَيْرِهِ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ[1].

***

١- راجع: «تفسير المنار» [ج١٠/ ص٣٩٤].

المطلب الثالث

شُبهة في فهمهم لقوله تعالى:

﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ ﴾

حيث أنكر الرافضة دلالة الآية على شيء من الفضل في حق الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث ذكروا في قوله: ﴿لِصَاحِبِهِۦ﴾ أن الصُحبة تكون بين المؤمن والكافر واعترضوا وقالوا: إن الله تعالى وصف الكافر بكونه صاحبًا للمؤمن كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ ﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ و﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ﴾، حيث جاء مثلًا في (تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن) الطوسي (ت ٤٦٠هـ) ما نصه: وقوله: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ ﴾ لا مدح فيه أيضًا، لأن تسمية الصاحب لا تفيد فضيلة ألا ترى أن الله تعالى قال في صفة المؤمن والكافر: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ ﴾ وقد يسمون البهيمة بأنها صاحب الإنسان كقول الشاعر: (وصاحبي بازل شمول) وقد يقول الرجل المسلم لغيره: أرسل إليك صاحبي اليهودي، ولا يدل ذلك على الفضل.

وقد أشار إلى ذلك العلامة ابن حزم فذكر أنه قد اعترض في أفضلية الصديق بعض أهل القحة فقال: قد قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا ﴾ [الكهف:٣٤]، قال أبو محمد: «وهذه مجاهرة بالباطل أما قوله تعالى في الآية لصاحبه وهو يحاوره قد أخبر الله تعالى بأن أحدهما مؤمن والآخر كافر وبأنهما مختلفان فإنما سماه صاحبه في المحاورة والمجالسة فقط كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [هود:٨٤]، فلم يجعله أخاهم في الدين لكن في الدار والنسب فليس هكذا قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ

لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحۡـزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَـا ﴾ بل جعله صاحبه في الدين والهجرة وفي الإخراج وفي الغار وفي نصرة الله لهما أخافة الكفار لهما وفي كونه تعالى معهما فهذه الصُحبة غاية الفضل وتلك الأخرى غاية النقص بنص القرآن»[1].

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قد زعم بعض الرافضة أن قوله تعالى: ﴿ إِذۡ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحۡـزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَـا ﴾ لا يدل على إيمان أبي بكر فإن الصُحبة قد تكون من المؤمن والكافر، فأخذ يرد عليهم فيذكر أنه معلوم أن لفظ الصاحب في اللغة يتناول من صحب غيره ليس فيه دلالة بمجرد هذا اللفظ على أنه وليه أو عدوه أو مؤمن أو كافر إلا لما يقترن به وقد قال تعالى: ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ ﴾ [النساء: ٣٦] وهو يتناول الرفيق في السفر والزوجة وليس فيه دلالة على إيمان أو كفر، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم: ١-٢]، وقوله: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٍ ﴾ [التكوير: ٢٢] المراد به محمد ﷺ لكونه صحب البشر فإنه إذا كان قد صحبهم كان بينه وبينهم من المشاركة ما يمكنهم أن ينقلوا عنه ما جاءه من الوحي وما يسمعون به كلامه ويفقهون معانيه بخلاف الملك الذي لم يصحبهم فإنه لا يمكنهم الأخذ عنه، وأيضًا قد تضمن ذلك أنه بشر من جنسهم وأخص من ذلك أنه عربي بلسانهم كما قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٤] فإنه إذا كان قد صحبهم كان قد تعلم لسانهم وأمكنه أن يخاطبهم بلسانهم فيرسل رسولًا بلسانهم ليتفقهوا عنه فكان ذكر صحبته لهم هنا على اللطف بهم والإحسان إليهم، وهذا بخلاف إضافة الصُحبة إليه كقوله تعالى: ﴿ لَا تَحۡـزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَـا ﴾ وقول النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي**

١- «الفصل في الملل» [ج٤/ ص١١٣ - ١١٤].

نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وقوله: « هل أنتم تاركي لي صاحبي» وأمثال ذلك، فإن إضافة الصُحبة إليه في خطابه وخطاب المسلمين تتضمن صحبة موالاة له وذلك لا يكون إلا بالإيمان به فلا يطلق لفظ صاحبه على من صحبه في سفره وهو كافر به والقرآن يقول فيه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ فأخبر الرسول أن الله معه ومع صاحبه وهذه المعية تتضمن النصر والتأييد وهو إنما ينصره على عدوه وكل كافر عدوه فيمتنع أن يكون الله مؤيدا له ولعدوه معا ولو كان مع عدوه لكان ذلك مما يوجب الحزن ويزيل السكينة فعلم أن لفظ صاحبه تضمن صحبة ولاية ومحبة وتستلزم الإيمان له وبه وأيضًا فقوله لا تحزن دليل على أنه وليه وإنه حزن خوفًا من عدوهما فقال له: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ ولو كان عدوه لكان لم يحزن إلا حيث يتمكن من قهره فلا يقال له:﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ لأن كون الله مع نبيه مما يسر النبي وكونه مع عدوه مما يسوءه فيمتنع أن يجمع بينهما لا سيما مع قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ ثم قوله: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾، ونصره لا يكون بأن يقترن به عدوه وحده وإنما يكون باقتران وليه ونجاته من عدوه فكيف لا ينصر على الذين كفروا من يكونون قد لزموه ولم يفارقوه ليلًا ولا نهارًا وهم معه في سفره[1].

ويرد عيهم الآلوسي فيذكر أن الصُحبة اللغوية وإن لم تدل بنفسها على المدعي لكنها تدل عليه بمعونة المقام أيضًا فإضافة صاحب إلى الضمير للعهد أي صاحبه الذي كان معه في وقت يجفو فيه الخليل خليله ورفيقه الذي فارق لمرافقته أهله وقبيله، ويذكر الرازي أن هناك وإن وصفه بكونه صاحبًا له ذكرًا إلا أنه أردفه بما يدل على

---

١ - «منهاج السنة النبوية» [٨/ ص٤٦٩ – ص٤٧٢].

الإهانة والإذلال وهو قوله: ﴿أَكَفَرْتَ﴾، أما ههنا فبعد أن وصفه بكونه صاحبًا له ذكر ما يدل على الإجلال والتعظيم وهو قوله: ﴿لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ فأي مناسبة بين البابين لولا فرط العداوة[١].

بطلان قولهم: «يجوز أن يستصحبه معه؛ لئلا يظهر أمره حذرًا منه».

ويذكر الفخر الرازي أن قولهم يحتمل أن يقال إنه استخلصه لنفسه لأنه كان يخاف منه أنه لو تركه في مكة أن يدل الكفار عليه وأن يوقفهم على أسراره ومعانيه فأخذه مع نفسه دفعًا لهذا الشر، والجواب أن الذي قالوه هو أخس من شبهات السوفسطائية فإن أبا بكر لو كان قاصدًا له لصالح بالكفار عند وصولهم إلى باب الغار وقال لهم: نحن ههنا ولقال ابنه وابنته عبد الرحمن وأسماء للكفار: نحن نعرف مكان محمد فندلكم عليه، فنسأل الله العصمة من عصبية تحمل الإنسان على مثل هذا الكلام الركيك.

ويرى أنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما ذهب إلى الغار لأجل أنه كان يخاف الكفار من أن يقدموا على قتله فلولا أنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان قاطعًا على باطن أبي بكر بأنه من المؤمنين المحققين الصادقين الصديقين وإلا لما أصحبه نفسه في ذلك الموضع لأنه لو جوز أن يكون باطنه بخلاف ظاهره لخافه من أن يدل أعداءه عليه وأيضًا لخافه من أن يقدم على قتله فلما استخلصه لنفسه في تلك الحالة دل على أنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان قاطعًا بأن باطنه على وفق ظاهره[٢].

أما ابن تيمية فقد انبرى في الرد على قول الرافضي: «يجوز أن يستصحبه معه؛ لئلا يظهر أمره حذرًا منه» فبيَّن أن هذا باطل من وجوه كثيرة لا يمكن استقصاؤها، نقتصر منها على ما يلي:

١- راجع: «التفسير الكبير» [ج١٦/ ص٥٣] و«روح المعاني» [ج١٠/ ص١٠١].

٢- راجع: «التفسير الكبير» [ج١٦/ ص٥١ -٥٢، ٥٥].

أحدها- أنه قد علم بدلالة القرآن موالاته له ومحبته لا عداوته فبطل هذا.

الثاني- أنه قد علم بالتواتر أن أبا بكر كان محبًا للنبي ﷺ مؤمنًا به من أعظم الخلق اختصاصًا به أعظم مما تواتر من شجاعة عنترة ومن سخاء حاتم ومن موالاة علي ومحبته له ونحو ذلك من التواترات المعنوية فيها الأخبار الكثيرة على مقصود واحد والشك في محبة أبي بكر كالشك في غيره وأشد ومن الرافضة من ينكر كون أبي عمر مدفونين في الحجرة النبوية وبعض غلاتهم ينكر أن يكون هو صاحبه الذي كان معه في الغار وليس هذا من بهتانهم ببعيد فإن القوم قوم بهت يجحدون المعلوم ثبوته بالاضطرار ويدعون ثبوت ما يعلم انتفاؤه بالاضطرار في العقليات والنقليات، ولهذا قال من قال: «لو قيل من أجهل الناس؛ لقيل الرافضة» حتى فرضها بعض الفقهاء مسألة فقهية، وكون أبي بكر كان مواليًا للنبي ﷺ أعظم من غيره أمر علمه المسلمون والكفار والأبرار والفجار.

الثالث- أن قوله استصحبه حذرًا من أن يظهر أمره كلام من هو من أجهل الناس بما وقع فإن أمر النبي ﷺ في خروجه من مكة ظاهر عرفه أهل مكة وأرسلوا الطلب فإنه في الليلة التي خرج فيها عرفوا في صبيحتها أنه خرج وانتشر ذلك وأرسلوا إلى أهل الطرق يبذلون الدية فيه وفي أبي بكر بذلوا الدية لمن يأتي بأبي بكر فأي شيء كان يخاف وكون المشركين بذلوا الدية لمن يأتي بأبي بكر دليل على أنهم كانوا يعلمون موالاته لرسول الله ﷺ وأنه كان عدوهم في الباطن ولو كان معهم في الباطن لم يفعلوا ذلك.

الرابع- أنه إذا كان خرج ليلًا كان وقت الخروج لم يعلم به أحد فما يصنع بأبي بكر واستصحابه معه، فإن قيل فلعله علم خروجه دون غيره، قيل أولًا قد كان يمكنه أن يخرج في وقت لا يشعر به كما خرج في وقت لم يشعر به المشركون وكان يمكنه أن لا يعينه، فكيف وقد ثبت في (الصحيحين) أن أبا بكر استأذنه في الهجرة فلم يأذن له حتى هاجر معه والنبي ﷺ أعلمه بالهجرة في خلوة[١].

الخامس- أنه لما كان في الغار كان يأتيه بالأخبار عبد الله بن أبي بكر وكان معهما عامر ابن فهيرة كما تقدم ذلك فكان يمكنه أن يعلمهم بخبره.

السادس- أنه إذا كان كذلك والعدو قد جاء إلى الغار ومشوا فوقه كان يمكنه حينئذ أن يخرج من الغار وينذر العدو به وهو وحده ليس معه أحد يحميه منه ومن العدو فمن يكون مبغضًا لشخص طالبًا لإهلاكه ينتهز الفرصة في مثل هذه الحال التي لا يظفر فيها عدو بعدوه إلا أخذه فإنه وحده في الغار والعدو قد صاروا عند الغار وليس لمن في الغار هناك من يدفع عنه وأولئك هم العدو الظاهرون الغالبون المتسلطون بمكة ليس بمكة من يخافونه إذا أخذوه فإن كان أبو بكر معهم مباطنا لهم كان الداعي إلى أخذه تامًا والقدرة تامة وإذا اجتمع القدرة التامة والداعي التام وجب وجود الفعل فحيث لم يوجد دل على انتفاء الداعي أو انتفاء القدرة والقدرة موجودة فعلم انتفاء الداعي وأن أبا بكر لم يكن له غرض في أذاه كما يعلم ذلك جميع الناس إلا من أعمى الله قلبه.

١- «منهاج السنة النبوية» [ج٨/ ص٤٣٣ - ٤٣٧]، راجع: ما ورد في «الصحيحين» عن البراء بن عازب في قصة الهجرة، وما رواه البخاري عن عائشة.

ومن هؤلاء المفترين من يقول إن أبا بكر كان يشير بإصبعه إلى العدو يدلهم على النبي ﷺ فلدغته حيه فردها حتى كفت عنه الألم وأن النبي ﷺ قال له: «**إن نكثت نكث يدك وإنه نكث بعد ذلك فمات منها**» وهذا يظهر كذبه من وجوده نبهنا على بعضها، ومنهم من قال أظهر كعبه ليشعروا به فلدغته الحية وهذا من نمط الذي قبله[١].

ويذكر الآلوسي أن ما ذكر من أن رسول الله ﷺ لم يخرجه إلا حذرًا من كيده غير صحيح، فالآية ليس فيها شائبة دلالة على إخراجه له أصلًا فضلًا عن كون ذلك حذرًا من الكيد على أن الحذر لو كان في معيته له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأي فرصة تكون مثل الفرصة التي حصلت حين جاء الطلب لباب الغار فلو كان عند أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وحاشاه أدنى ما يقال لقال: هلموا فههنا الغرض ولا يقال إنه خاف على نفسه أيضًا لأنه يمكن أن يخلصها منهم بأمور ولا أقل من أن يقول لهم خرجت لهذه المكيدة وأيضًا لو كان الصديق كما يزعم الزنديق فأي شيء منعه من أن يقول لابنه عبد الرحمن أو ابنته أسماء أو مولاه عامر بن فهيرة فقد كانوا يترددون إليه في الغار كما أخرج ابن مردويه عن عائشة فيخبر أحدهم الكفار بمكان رسول الله ﷺ.

وأيضًا إذا انفتح باب هذا الهذيان أمكن للناصبي أن يقول -والعياذُ بالله تعالى- في عليٍّ -كرم الله تعالى وجهه- إن النبي ﷺ لم يأمره بالبيتوتة على فراشه الشريف ليلة هاجر إلا ليقتله المشركون ظنًا منهم أنه النبي ﷺ فيستريح منه.

وليس هذا القول بأعجب ولا أبطل من قول الشيعي إن إخراج الصديق إنما كان حذرًا من شره، فليتق الله سبحانه من فتح هذا الباب المستهجن عند ذوي الألباب[٢].

١- «منهاج السنة النبوية» [ج٨/ ص٤٤٧ - ٤٤٩].

٢- «روح المعاني» [ج١٠/ ص١٠٢].

المطلب الرابع

شُبهة في ادعائهم أن حزن أبي بكر من خلال قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ يدل على نقصه

يذكر الفخر الرازي أن الروافض احتجوا بهذه الآية وبهذه الواقعة على الطعن في أبي بكر من وجوه ضعيفة حقيرة جارية مجرى إخفاء الشمس بكف من الطين حيث قالوا إنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال لأبي بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ فذلك الحزن إن كان حقًا فكيف نهى الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عنه وإن كان خطأ لزم أن يكون أبو بكر مذنبًا وعاصيًا في ذلك الحزن، وجاء في (تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن) الطوسي (ت ٤٦٠هـ) أن قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ إن لم يكن ذمًّا فليس بمدح بل هو نهي محض عن الخوف.

والجواب: أن أبا علي الجبائي لما حكى عنهم تلك الشبهة قال: «فيقال لهم يجب في قوله تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه:٦٨] أن يدل على أنه كان عاصيًا في خوفه وذلك طعن في الأنبياء، ويجب في قوله تعالى في إبراهيم حيث قالت الملائكة له: ﴿لَا تَخَفْ﴾ في قصة العجل المشوي مثل ذلك، وفي قولهم للوط: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ [العنكبوت:٣٣] مثل ذلك، فإذا قالوا إن ذلك الخوف إنما حصل بمقتضى البشرية وإنما ذكر الله تعالى ذلك في قوله: ﴿لَا تَخَفْ﴾ ليفيد الأمن وفراغ القلب، قلنا لهم في هذه المسألة كذلك، والعجب منهم! فإنا لو قدرنا أن أبا بكر ما كان خائفًا لقالوا: إنه فرح بسبب وقوع الرسول في البلاء ولما خاف وبكى قالوا: هذا السؤال الركيك وذلك يدل على أنهم لا يطلبون الحق وإنما مقصودهم محض الطعن»[1].

---

١ - «التفسير الكبير» [ج١٦/ ص٥٥].

يذكر الإمام ابن العربي أن الإمامية -قبَّحها الله- قالت: «حزن أبي بكر في الغار مع كونه مع النبي دليل على جهله ونقصه وضعف قلبه وحيرته، وقد أجاب على ذلك علماؤنا بثلاثة أجوبة :

الأول- أن قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ ليس بموجب بظاهره وجود الحزن إنما يقتضي منعه منه في المستقبل، فلعل النبي قال له ذلك زيادة في طمأنينة قلبه، فإن الصديق قال للنبي: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال له: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ لتطمئن نفسه.

الثاني- أن الصديق لا ينقصه إضافة الحزن إليه كما لم تنقص إبراهيم حين قيل عنه: ﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود:٧٠] ولم ينقص موسى قوله عنه: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه:٦٧]، وهذان العظيمان قد وجدت عندهم التقية نصًا وإنما هي عند الصديق هاهنا باحتمال.

الثالث- أن حزن الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يكن لشك وحيرة، وإنما كان خوفًا على النبي أن يصل إليه ضرر ولم يكن النبي في ذلك الوقت معصومًا من الضرر، فكيف يكون الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضعيف القلب وهو لم يستخف حين مات النبي بل ظهر وقام المقام المحمود الذي تقدم ذكرنا له بقوة يقين ووفور علم وثبوت جأش وفصل للخطبة التي تعيي المحتالين[١].

أما العلامة ابن حزم فقد حكى عنهم قولهم: وقد حزن أبو بكر فنهاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك فلو كان حزنه رضًا لله عَزَّ وَجَلَّ لما نهاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستفاض في الرد عليهم، وتفنيد مزاعمهم فقال: وأما حزن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه قبل أن ينهاه رسول الله

١- «أحكام القرآن» لابن العربي [ج٢/ ص٥١٥].

ﷺ كان غاية الرضا لله لأنه كان إشفاقًا على رسول الله ﷺ ولذلك كان الله معه وهو تعالى لا يكون مع العصاة بل عليهم وما حزن أبو بكر قط بعد أن نهاه رسول الله ﷺ عن الحزن ولكان ذلك على محمد وموسى رسولا الله لهؤلاء الأرذال حياء أو علم لم يأتوا بمثل هذا اذ لو كان حزن أبي بكر عيبًا عليه لكان عيبًا لأن الله عَزَّوَجَلَّ قال لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ [القصص:٣٥]، ثم قال تعالى عن السحرة أنهم قالوا لموسى: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴾ [طه:٦٥-٦٨]، فهذا رسول الله ﷺ وكليمه قد كان أخبره الله عَزَّوَجَلَّ بأن فرعون وملأه لا يصلون إليه وأن موسى ومن اتبعه هو الغالب، ثم أوجس في نفسه خيفة بعد ذلك إذ رأى أمر السحرة حتى أوحى الله عَزَّوَجَلَّ إليه لا تخف فهذا أمر أشد من أمر أبي بكر وإذا لزم ما يقول هؤلاء الفساق أبا بكر وحاشا لله أن يلزمه من أن حزنه لو كان لما نهاه رسول الله ﷺ لزم أشد منه لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأن إيجاسه الخيفة في نفسه لو كان رضًا لله تعالى ما نهاه الله تعالى عنه ومعاذ الله من هذا بل إيجاس موسى الخيفة في نفسه لم يكن إلا نسيان الوعد المتقدم وحزن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رضًا لله تعالى قبل أن ينهي عنه ولم يكن تقدم اليه نهى عن الحزن وأما محمد ﷺ فإن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ﴾ [لقمان:٢٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ ﴾ [النحل:١٢٧]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [يونس:٦٥]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾ [فاطر:٨]، وقال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ

إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف:٦]، ووجدناه عَزَّوَجَلَّ قد قال: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣]، فهذا الله تعالى أخبرنا أنه يعلم أن رسول الله ﷺ يحزنه الذي يقولون ونهاه الله عَزَّوَجَلَّ عن ذلك نصا فيلزمهم في حزن رسول الله ﷺ الذي نهاه الله تعالى عنه كالذي أراد في حزن أبي بكر سواء بسواء ونعم أن حزن رسول الله ﷺ بما كانوا يقولون من الكفر كان طاعة لله تعالى قبل أن ينهاه الله عَزَّوَجَلَّ وما حزن عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد أن نهاه ربه تعالى عن الحزن كما كان حزن أبي بكر طاعة لله عَزَّوَجَلَّ قبل أن ينهاه الله عَزَّوَجَلَّ عن الحزن وما حزن أبو بكر قط بعد أن نهاه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن الحزن فكيف وقد يمكن أن يكون أبو بكر لم يحزن يومئذ لكن نهاه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن أن يكون منه حزن كما قال تعالى لنبيه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [الإنسان:٢٤]، فنهاه عن أن يطيعهم ولم تكن منه طاعة لهم وهذا إنما يعترض به أهل الجهل والسخافة، ونعوذ بالله من الضلال[1].

فقوله تعالى: ﴿ لَا تَحْـزَنْ ﴾ إذن ليس المقصود منه حقيقة النهي عن الحزن فإنه من الأمور التي لا تدخل تحت التكليف بل المقصود منه التسلية للصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أو نحوها وما ذكروه من الترديد يجري مثله في قوله تعالى خطابًا لموسى وهارون عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ: ﴿ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ ﴾ [طه:٤٦]، وكذا في قوله سبحانه للنبي ﷺ: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [يونس:٦٥] إلى غير ذلك أفترى أن الله سبحانه نهى عن طاعته أو أن أحدًا من أولئك المعصومين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ارتكب معصية سبحانك هذا بهتان عظيم ولا ينافي كون الحزن من الأمور التي لا تدخل تحت التكليف بالنظر إلى نفسه أنه قد يكون

١- «الفصل في الملل» [ج٤/ ص١١٣ - ١١٤].

موردًا للمدح والذم كالحزن على فوات طاعة فإنه ممدوح والحزن على فوات معصية فإنه مذموم لأن ذلك باعتبار آخر كما لا يخفى.

أما ما ذكر في حيز العلاوة من أن فيه من الدلالة على الجبن ما فيه فيه من ارتكاب الباطل ما فيه فإنا لا نسلم أن الخوف يدل على الجبن وإلا لزم جبن موسى وأخيه عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ فما ظنك بالحزن وليس حزن الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بأعظم من الاختفاء بالغار ولا يظن مسلم أنه كان عن جبن أو يتصف بالجبن أشجع الخلق على الإطلاق ﷺ ومن أنصف رأي أن تسليته عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ لأبي بكر بقوله: ﴿لَا تَحْـزَنْ﴾ كما سلاه ربه سبحانه بقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ مشيرة إلى أن الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عنده عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ بمنزلته عند ربه جل شأنه فهو حبيب حبيب الله تعالى، بل لو قطع النظر عن وقوع مثل هذه التسلية من الله تعالى لنبيه النبيه ﷺ كان نفس الخطاب بلا تحزن كافيًا في الدلالة على أنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حبيب رسول الله ﷺ وإلا فكيف تكون محاورة الأحباء وهذا ظاهر إلا عند الأعداء[(١)].

***

١- راجع: «روح المعاني» [ج١٠/ ص١٠١].

المطلب الخامس

شُبهة في فهمهم لقوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾

حيث زعم الرافضة -كما سبق-أن هذه المعية مثلها مثل المعية العامة، فقالوا: «إن كان الفضل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ فيحتمل أن يكون المراد إثبات معية الله تعالى الخاصة له ﷺ وحده لكن أتى بـ (نا) سدًا لباب الإيحاش ونظير ذلك الإتيان بأوفى قوله: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٢٤]، جاء في (تفسير التبيان الجامع لعلوم القرآن) الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ما نصه: وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ قيل إن المراد به النبي ﷺ، ولو أريد به أبو بكر معه لم يكن فيه فضيلة، لأنه يحتمل أن يكون ذلك على وجه التهديد، كما يقول القائل لغيره إذا رآه يفعل القبيح لا تفعل إن الله معنا يريد أنه متطلع علينا، عالم بحالنا، والسكينة قد بينا أنها نزلت على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بما بيناه من أن التأييد بجنود الملائكة كان يختص بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فأين موضع الأفضلية للرجل لولا العناد، ثم يزعم أنه لم يذكر هذا للطعن على أبي بكر بل بيَّنا أن الاستدلال بالآية على الفضل غير صحيح.

وقد سبق أن بيَّنا أنها معية خاصة تستلزم تفضيل الصديق على غيره من الصحابة، وبالجملة فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ -كما يقول الرازي- شرك بين نفسه وبين أبي بكر في هذه المعية فإن حملوا هذه المعية على وجه فاسد لزمهم إدخال الرسول فيه وإن حملوها على محمل رفيع شريف لزمهم إدخال أبي بكر فيه، ونقول بعبارة أخرى دلت الآية على أن أبا بكر كان الله معه وكل من كان الله معه فإنه يكون من المتقين المحسنين؛ لقوله

تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨]، والمراد منه الحصر والمعنى إن الله مع الذين اتقوا لا مع غيرهم وذلك يدل على أن أبا بكر من المتقين المحسنين».

ويذكر أن الروافض في الدين كانوا إذا حلفوا قالوا: وحق خمسة سادسهم جبريل وأرادوا به أن الرسول ﷺ وعليًا وفاطمة والحسن والحسين كانوا قد احتجبوا تحت عباءة يوم المباهلة فجاء جبريل وجعل نفسه سادسًا لهم فذكروا للشيخ الإمام الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن القوم هكذا يقولون فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لكم ما هو خير منه بقوله: «**مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللّٰهُ ثَالِثُهُمَا؟**»ومن المعلوم بالضرورة أن هذا أفضل وأكمل، وينتهي الرازي في تقرير هذا المطلوب بأن قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ يدل على كونه ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ في الشرف الحاصل من هذه المعية كما كان ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ﴾ وذلك منصب في غاية الشرف[1].

وما ذكر من أن المعية الخاصة كانت لرسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وحده وأن الإتيان بـ (نا) لسد باب الإيحاش فهو -كما يقول الآلوسي- من باب المكابرة الصرفة كما يدل عليه الخبر المار آنفًا على أنه إذا كان ذلك الحزن إشفاقًا على رسول الله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لا غير فأي إيحاش في قوله: (لا تحزن علي إن الله معي) وإن كان إشفاقًا على الرسول ﷺ وعلى نفسه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ لم يقع التعليل موقعه والجملة مسوقة له ولو سلمنا الإيحاش على الأول ووقوع التعليل موقعه على الثاني يكون ذلك الحزن دليلًا واضحًا على مدح الصديق وإن كان على نفسه فقط كما يزعمه ذو النفس الخبيثة لم يكن للتعليل معنى أصلًا وأي معنى في (لا تحزن على نفسك إن الله معي لا معك)، على أنه يُقال للرافضي: هل فهم الصديق

١- راجع: «التفسير الكبير» [ج١٦/ ص٥٣].

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الآية ما فهمت من التخصيص وأن التعبير بـ (نا) كان سدًا لباب الإيحاش أم لا فإن كان الأول يحصل الإيحاش ولا بد فنكون قد وقعنا فيما فررنا عنه وإن كان الثاني فقد زعمت لنفسك رتبة لم تكن بالغها ولو زهقت روحك ولو زعمت المساواة في فهم عبارات القرآن الجليل وإشاراته لمصاقع أولئك العرب المشاهدين للوحي ما سلم لك أو تموت فكيف يسلم لك الامتياز على الصديق وهو هو وقد فهم من إشارته ﷺ في حديث التخيير ما خفي على سائر الصحابة حتى -عليّ كرم الله تعالى وجهه- فاستغربوا بكاءه -رضي الله تعالى عنه- يومئذ وما ذكر من التنظير في الآية مشير إلى التقية التي اتخذها الرافضة دينا وحرفوا لها الكلم عن مواضعها.

وما ذكر في أمر السكينة فجوابه يعلم مما ذكرناه وكون التخصيص مشيرًا إلى إخراج الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن زمرة المؤمنين كما رمز إليه الكلب عدو الله ورسوله ﷺ لو كان ما خفي على أولئك المشاهدين للوحي الذين من جملتهم الأمير -كرم الله تعالى وجهه- فكيف مكنوه من الخلافة التي هي أخت النبوة عند الشيعة وهم الذين لا تأخذهم في الله تعالى لومة لائم وكون الصحابة قد اجتمعوا في ذلك على ضلالة والأمير كان مستضعفًا فيما بينهم أو مأمورًا بالسكوت وغمد السيف إذ ذاك كما زعمه المخالف قد طوى بساط رده وعاد شذر مذر فلا حاجة إلى إتعاب القلم في تسويد وجه زاعمه.

وينتهي الآلوسي -بعد كلام طويل- إلى أن من أحاط خبرًا بأطراف ما ذكرناه من الكلام في هذا المقام علم أن قول الرافضة: «وإن كان شيئًا وراء ذلك فبينوه لنا حتى نتكلم عليه» ناشيء عن محض الجهل أو العناد ومن يضلل الله فما له من هاد، وبالجملة إن

الشيعة قد اجتمعت كلمتهم على الكفر بدلالة الآية على فضل الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويأبى الله تعالى إلا أن يكون كلمة الذين كفروا السفلى وكلمته هي العليا[1].

ويذكر الشيخ رشيد رضا أن مَا زَعَمه هؤلاء مِنِ احْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ إِنَّ اللهَ مَعَنَا إِثْبَاتَ الْمَعِيَّةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَحْدَهُ، لَا يَصْدُرُ مِثْلُهُ إِلَّا عن الرافضة بِالتَّبَعِ لِمَلَاحِدَةِ سَلَفِهم الْبَاطِنِيَّةِ الَّذِينَ قَالُوا مِثْلَ هَذَا فِي الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْعَقَائِدِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ مِمَّا يَأْبَاهُ اللَّفْظُ وَالْأُسْلُوبُ وَالسِّيَاقُ وَالْمَقَامُ، وَإِنَّمَا يُقْصَدُ بِالْكَلَامِ الْإِفْهَامُ، وَمَا زَعَمُوهُ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ ﷺ أَفْهَمَ صَاحِبَهُ غَيْرَ الْحَقِّ وَأَرَادَ أَنْ يَغُشَّهُ وَيُوهِمَهُ بِالْبَاطِلِ أَنَّ اللهَ مَعَهُمَا؟ حَاشَ للهِ وَحَاشَ لِرَسُولِهِ، مَا هَذَا إِلَّا مِنْ نَوْعِ تَحْرِيفِ الْيَهُودِ وَالْبَاطِنِيَّةِ لِكَلَامِ اللهِ، بِمَا لَا يَلِيقُ بِاللهِ وَلَا بِرَسُولِهِ. وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ بَعِيدَةٌ أَشَدَّ الْبُعْدِ عَنْ جُمْلَةِ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ الْمُرَادُ بِهَا اسْتِمَالَةُ الْكُفَّارِ الْمُعَانِدِينَ لِاسْتِمَاعِ حُجَجِ الْقُرْآنِ: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦] وَالتَّرْدِيدُ فِيهَا حَقٌّ؛ فَإِنَّ أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ لَا مَفَرَّ مِنْ ذَلِكَ فِي نَظَرِ الْعَقْلِ، وَهُوَ لَا يُمْنَعُ أَنْ يَكُونَ الْوَاقِعُ بِالْفِعْلِ أَنَّ الْمُخَاطِبَ لَهُمْ وَهُوَ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى الْهُدَى، وَأَنْ يَكُونُوا هُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ[2].

فلو كان أبو بكر مبغضًا كما يقول المفترون لم يحزن ولم ينه عن الحزن بل كان يضمر الفرح والسرور ولا كان الرسول يقول له: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، فإن قال المفتري إنه خفي على الرسول حاله لما أظهر له الحزن وكان في الباطن مبغضًا، قيل له فقد قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ فهذا إخبار بأن الله معهما جميعًا بنصره ولا يجوز للرسول

١- «روح المعاني» [ج١٠/ ص١٠١ - ١٠٢].

٢- راجع: «تفسير المنار» [ج١٠/ ص ٣٩٥].

أن يخبر بنصر الله لرسوله وللمؤمنين وأن الله معهم ويجعل ذلك في الباطن منافقًا فإنه معصوم في خبره عن الله لا يقول عليه إلا الحق وإن جاز أن يخفى عليه حال بعض الناس فلا يعلم أنه منافق، فكيف يشهد لأبي بكر بأن الله معهما وهو لا يعلم ذلك والكلام بلا علم لا يجوز، وأيضًا فإن الله أخبر بهذا عن الرسول إخبار مقرر له لا إخبار منكر له فعلم أن قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ من الخبر الصدق الذي أمر الله به ورضيه لا مما أنكره وعابه، وأيضًا فمعلوم - كما يقول ابن تيمية -: «أن أضعف الناس عقلًا لا يخفى عليه حال من يصحبه في مثل هذا السفر الذي يعاديه فيه الملأ الذين هم بين أظهرهم ويطلبون قتله وأولياؤه هناك لا يستطيعون نصره فكيف يصحب واحدًا ممن يظهر له موالاته دون غيره وقد أظهر له هذا حزنه وهو مع ذلك عدو له في الباطن والمصحوب يعتقد أنه وليه وهذا لا يفعله إلا أحمق الناس وأجهلهم، فقبَّح الله من نسب رسوله الذي هو أكمل الخلق عقلًا وعلمًا وخبرة إلى مثل هذه الجهالة والغباوة.

ولقد بلغني عن ملك المغول خدابنده الذي صنف له هذا الرافضي كتابه هذا في الإمامة أن الرافضة لما صارت تقول له مثل هذا الكلام إن أبا بكر كان يبغض النبي ﷺ وكان عدوه ويقولون مع هذا إنه صحبه في سفر الهجرة الذي هو أعظم الأسفار خوفًا قال كلمة تلزم عن قولهم الخبيث وقد برأ الله رسوله منها لكن ذكرها على من افترى الكذب الذي أوجب أن يقال في الرسول مثلها حيث قال: كان قليل العقل، ولاريب أن فعل ما قالته الرافضة فهو قليل العقل وقد برأ الله رسوله وصديقه من كذبهم وتبين أن قولهم يستلزم القدح في الرسول»[١].

***

١- «منهاج السنة النبوية» [ج٨/ ص٤٢٨ -٤٣١].

الخَاتِمَة

وتحتوي على أهم نتائج البحث:

١- تبين أن الإمامية أو الرافضة لا يرجعون في شيء مما ينفردون به عن الجمهور إلى الحجة أصلًا لا عقلية ولا سمعية ولا نص ولا إجماع وإنما عمدتهم دعوى نقل مكذوب يعلم أنه كذب أو دعوى دلالة نص أو قياس يعلم أنه لا دلالة له والرافضة أجهل الطوائف بالأحاديث والآثار وأحوال النبي ﷺ ولهذا يوجد في كتبهم وكلامهم من الجهل والكذب في المنقولات ما لا يوجد في سائر الطوائف.

٢- من أراد أن يعرف فضائل الصحابة ومنازلهم عند النبي ﷺ، وبخاصة الصديق الأكبر والمستشار الأعظم، فليتدبر الأحاديث الصحيحة التى صححها أهل العلم بالحديث الذين كملت خبرتهم بحال النبي ﷺ ومحبتهم له وصدقهم في التبليغ عنه وصار هواهم تبعا لما جاء به فليس لهم غرض إلا معرفة ما قاله وتمييزه عما يخلط بذلك من كذب الكاذبين وغلط الغالطين كأصحاب الصحيح مثل البخاري ومسلم والإسماعيلي والبرقاني وأبي نعيم والدارقطني ومثل صحيح ابن خزيمة وابن منده وأبي حاتم البستي والحاكم وما صححه أئمة أهل الحديث الذين هم أجل من هؤلاء أو مثلهم من المتقدمين والمتأخرين مثل مالك وشعبة ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي وابن المبارك وأحمد وابن معين وابن المديني وأبي حاتم وأبي زرعة الرازيين وخلائق لا يحصى عددهم إلا الله تعالى.

٣- إذا تدبر العاقل الأحاديث الصحيحة الثابتة عند هؤلاء وأمثالهم عرف الصدق من الكذب فإن هؤلاء من أكمل الناس معرفة بذلك وأشدهم رغبة في التمييز بين الصدق والكذب وأعظمهم ذبًّا عن رسول الله ﷺ فهم المهاجرون إلى سنته وحديثه

والأنصار له في الدين يقصدون ضبط ما قاله وتبليغه للناس وينفون عنه ما كذبه الكذابون وغلط فيه الغالطون ومن شركهم في علمهم علم ما قالوه وعلم بعض قدرهم وإلا فليسلم القوس إلى باريها كما يسلم إلى الأطباء طبهم وإلى النحاة نحوهم وإلى الفقهاء فقههم وإلى أهل الحساب حسابهم.

٤- بيان اختصاص الصديق في الصُحبة الإيمانية بما لم يشركه مخلوق لا في قدرها ولا في صفتها ولا في نفعها فإنه لو أحصى الزمان الذي كان يجتمع فيه أبو بكر بالنبي ﷺ والزمان الذي كان يجتمع فيه عثمان أو على أو غيرهما من الصحابة لوجد ما يختص به أبو بكر أضعاف ما اختص به واحد منهم لا أقول ضعفه وأما المشترك بينهم فلا يختص به واحد.

وأما كمال معرفته ومحبته للنبي ﷺ وتصديقه له مبرز في ذلك على سائرهم تبريزا باينهم فيه مباينه لا تخفى على من كان له معرفة بأحوال القوم ومن لا معرفة له بذلك لم تقبل شهادته، وأما نفعه للنبي ﷺ ومعاونته له على الدين فكذلك، فهذه الأمور التي هي مقاصد الصُحبة ومحامدها التي بها يستحق الصحابة أن يفضلوا بها على غيرهم لأبي بكر فيها من الاختصاص بقدرها ونوعها وصفتها وفائدتها ما لا يشركه فيه أحد.

٥- لَمْ يُكَاشِفِ النَّبِيُّ ﷺ بِهِجْرَتِهِ أَحَدًا غَيْرَ صَاحِبِهِ الْأَوَّلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، الَّذِي كَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِمَّنْ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ أَهْلِ بَيْتِهِ -وَهُمْ زَوْجُهُ خَدِيجَةُ وَعَتِيقُهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَرَبِيبُهُ عَلِيٌّ، وَكَانَ دُونَ الْبُلُوغِ، وَهَؤُلَاءِ قَدْ عَلِمُوا بِنُبُوَّتِهِ ﷺ وَصَدَّقُوهُ قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَهُ اللهُ بِالْجَهْرِ بِالدَّعْوَةِ فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ صَاحِبَهُ الْمُلَازِمَ، وَمُسْتَشَارَهُ الدَّائِمَ، وَوَزِيرَهُ الْأَكْبَرَ وَمَوْضِعَ سِرِّهِ، وَإِنَّمَا كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَشَدَّ هَذِهِ

الْأُمَّةِ اسْتِعْدَادًا لِنُورِ الْإِسْلَامِ بِسَلَامَةِ فِطْرَتِهِ، وَطَهَارَةِ نَفْسِهِ، وَقُوَّةِ عَقْلِهِ، وَعِرْفَانِهِ بِفَضَائِلِ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَقَدْ كَانَ صَدِيقُهُ مِنْ سِنِّ الشَّبَابِ.

٦- تبين أن الإمامية قد بالغوا في تشيعهم، وتعدوا حدود العقل والشرع، فكفَّروا الكثير من الصحابة، واعتبروا أبا بكر وعمر مغتصبين للخلافة ظالمين لعليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأوجبوا التبرؤ منهما، أخذوا يموِّهون على الناس، ويغرون العامة بما وضعوه من أحاديث على رسول الله ﷺ وعلى أهل بيته، وطعنوا على الصحابة إلا نفرًا قليلًا منهم، ورموهم بكل نقيصة في الدين، ليجدوا لأنفسهم من وراء ذلك ثغرة يخرجون منها عندما تأخذ بخناقهم الأحاديث الصحيحة التى يرويها هؤلاء الصحابة عن رسول الله ﷺ، ولم يسلم من هذا التطرف إلا نفر قليل، كالعلامة الطبرسي صاحب (التفسير).

٧- بيان أَنَّ قَائِلِي مَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ مِنْ تَحْرِيفِ الرَّافِضَةِ لِلْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَلِلْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ فِي مَنَاقِبِ الصِّدِّيقِ لَيْسُوا مِنَ الْجَهْلِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، بِحَيْثُ يَعْتَقِدُونَ صِحَّةَ مَا قَالُوا وَمَا كَتَبُوا، وَإِنَّمَا هُمْ قَوْمٌ بُهْتٌ يَجْحَدُونَ مَا يَعْتَدُونَ، وَيَفْتَرُونَ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، وَيُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ كَالْيَهُودِ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ حَرَّفُوا الْبِشَارَاتِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَدُعَاةِ النَّصْرَانِيَّةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَالَّذِينَ وَضَعُوا لَهُمْ قَوَاعِدَ الرَّفْضِ وَخُطَطَ التَّأْوِيلِ وَالتَّحْرِيفِ هُمْ مَلَاحِدَةُ الشِّيعَةِ الْبَاطِنِيَّةِ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ، الَّذِينَ كَانُوا يَتَوَسَّلُونَ بِهَا إِلَى هَدْمِ هَذَا الدِّينِ، وَإِزَالَةِ مُلْكِ الْعَرَبِ؛ تَمْهِيدًا لِإِعَادَةِ الدِّيَانَةِ الْمَجُوسِيَّةِ وَالسُّلْطَةِ الْكِسْرَوِيَّةِ، وَقَدْ وَضَعُوا لَهُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ عَنْ أَئِمَّةِ آلِ الْبَيْتِ فِي تَحْرِيفِ الْقُرْآنِ وَالْغُلُوِّ فِيهِمْ، وَمِنْ قَوَاعِدِ الْبِدَعِ مَا كَانُوا بِهِ شَرَّ فِرَقِ الْمُبْتَدِعَةِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَقَدْ بَرَعُوا فِي تَرْبِيَةِ عَوَامِّهِمْ عَلَى بِدَعِهِمْ بِمَا فِيهَا مِنَ الْغُلُوِّ فِي تَعْظِيمِ عَلِيٍّ وَآلِهِ

بِمَا هُوَ وَرَاءَ مُحِيطِ الدِّينِ وَالْعَقْلِ وَاللُّغَةِ، وَالْغُلُوِّ فِي بُغْضِ الصِّدِّيقِ وَالْفَارُوقِ وَذِي النُّورَيْنِ وَأَكَابِرِ الْمُهَاجِرِينَ وَجُمْهُورِ الصَّحَابَةِ، وَالطَّعْنِ فِيهِمْ بِمَا هُوَ وَرَاءَ مُحِيطِ الدِّينِ وَالْعَقْلِ وَاللُّغَةِ أَيْضًا.

٨- وَإِنَّمَا خَصُّوا الْخَلِيفَتَيْنِ الْأَوَّلَيْنَ مِنْهُمْ بِمَزِيدِ الْبُغْضِ وَالذَّمِّ؛ لِأَنَّهُمَا هُمَا اللَّذَانِ جَهَّزَا الْجُيُوشَ وَسَيَّرُوهَا إِلَى بِلَادِ فَارِسَ فَفَتَحُوهَا وَأَزَالُوا دِينَهَا وَمُلْكَهَا مِنَ الْوُجُودِ. وَقَدْ صَارَتْ هَذِهِ التَّقَالِيدُ رَاسِخَةً بِالتَّرْبِيَةِ وَالْوِرَاثَةِ حَتَّى صَارَ مَنْ يُسَمُّونَهُمُ الْعُلَمَاءُ الْمُجْتَهِدِينَ يَكْتُبُونَ ما هو أَعْرَقُ فِي الْغُلُوِّ، وَأَرْسَخُ فِي الْجَهْلِ مِمَّا نَقَلَهُ الرَّازِيُّ وَالْآلُوسِيُّ هُنَا عَنْ بَعْضِ مُتَقَدِّمِيهِمْ. فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُ مَنْ يُسَمُّونَهُمُ الْعُلَمَاءُ الْمُجْتَهِدِينَ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى التَّقْلِيدِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ؟ ثُمَّ كَيْفَ حَالُ عَوَامِّهِمُ الَّذِينَ يُلَقِّنُونَهُمْ هَذِهِ الْأَضَالِيلَ وَيُرَبُّونَهُمْ عَلَى بُغْضِ مَنْ أَقَامَ اللهُ بِهِمْ صَرْحَ هَذَا الدِّينِ، وَصَرَّحَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِأَنَّهُ رَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَعَلَى لَعْنِ مَنْ فَضَّلَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ عَلَيْهِمْ كُلِّهِمْ؟ وَنَاهِيكَ بِهَذِهِ الْآيَةِ تَفْضِيلًا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا.

٩- هَؤُلَاءِ الرَّوَافِضَ هم شَرُّ مُبْتَدِعَةِ هَذِهِ الْمِلَّةِ، وَأَشَدُّهُمْ بَلَاءً عَلَيْهَا، وَتَفْرِيقًا لِكَلِمَتِهَا، وَقَدْ سَكَنَتْ رِيَاحُ التَّفْرِيقِ الَّتِي أَثَارَهَا غَيْرُهُمْ مِنَ الْفِرَقِ فِي الْإِسْلَامِ، وَبَقِيَتْ رِيحُهُمْ عَاصِفَةٌ وَحْدَهَا، وَلَوْ كَانُوا يَقِفُونَ عِنْدَ حَدِّ تَفْضِيلِ عَلِيٍّ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ كَانَ أَحَقَّ بِالْخِلَافَةِ مِنْهُ لَهَانَ الْأَمْرُ، وَأَمْكَنَ أَنْ يَتَّحِدُوا مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ الَّذِينَ يَعْذُرُونَهُمْ بِاعْتِقَادِهِمْ هَذَا إِذَا لَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَيْهِ ضَرَرٌ، وَيَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ، وَلَا يَتَفَرَّقُوا هَذَا التَّفَرُّقَ وَلَا يَتَعَادُّوا هَذَا التَّعَادِيَ اللَّذَيْنِ أَضْعَفَا الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ، وَمَزَّقَا مُلْكَهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ، حَتَّى اسْتَذَلَّ الْأَجَانِبُ أَكْثَرَ أَهْلِهِ، وَهُمْ لَا يَزَالُونَ يُشْغِلُونَ الْمُسْلِمِينَ بِالتَّعَادِي

عَلَى مَا مَضَى مِنَ التَّنَازُعِ فِي مَسْأَلَةِ الْخِلَافَةِ، وَيُؤَلِّفُونَ الْكُتُبَ وَالرَّسَائِلَ فِي الْقَدْحِ فِي الصَّحَابَةِ. وَيَالَيْتَهُمْ يَطْلُبُونَ إِعَادَةَ الْخِلَافَةِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَتَجْدِيدَهَا؛ لِإِقَامَةِ دِينِ اللهِ وَإِعَادَةِ مَجْدِ الْإِسْلَامِ وَسِيَادَتِهِ، فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي أَنَّ آلَ عَلِيٍّ أَصَحُّ بُطُونِ قُرَيْشٍ أَنْسَابًا، وَأَكْرَمُهَا أَحْسَابًا، وَأَنَّ الْخِلَافَةَ فِي قُرَيْشٍ، فَإِنْ وُجِدَ فِيهِمْ مَنْ تَجْتَمِعُ فِيهِ سَائِرُ شُرُوطِهَا وَيَرْضَاهُ أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنَ الْأُمَّةِ فَهُوَ أَوْلَى مِنْ غَيْرِهِ. كَلَّا إِنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ تَجْدِيدَ الْإِسْلَامِ وَإِقَامَتِهِ بِظُهُورِ الْمَهْدِيِّ، وَعَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ يَنْتَظِرُونَهُ مَعَهُمْ، فَلْيَكْتَفُوا بِهَذَا وَيَكُفُّوا عَنْ تَأْلِيفِ الْكُتُبِ فِي الطَّعْنِ فِي الصَّحَابَةِ الْكِرَامِ، وَبِحَمَلَةِ السُّنَّةِ وَحُفَّاظِهَا الْأَعْلَامِ، وَإِثَارَةِ الْأَحْقَادِ وَالْأَضْغَانِ، الَّتِي لَا فَائِدَةَ لَهُمْ مِنْهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ، إِلَّا التَّقَرُّبَ إِلَى غُلَاتِهِمْ مِنَ الْعَوَامِّ، طَمَعًا فِي الْجَاهِ الْبَاطِلِ وَالْحُطَامِ، وَإِنَّمَا فَائِدَتُهَا الْحَقِيقِيَّةُ لِلْأَجَانِبِ مِنْ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ.

***



المصادر والمراجع

• **الآلوسي (العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي):**

- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** تأليف: ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

• **البغوي (الإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي):**

- **معالم التنزيل:** دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك البقاعي: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي.
- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:** دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي.

• **ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس):**

- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية:** تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

• **ابن حزم (على بن أحمد بن سعيد بن حزم الطاهري أبو محمد):**

- **الفصل في الملل والأهواء والنحل:** دار النشر: مكتبة الخانجي - القاهرة.

• **أبو حيان (محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي):**

- **تفسير البحر المحيط:** دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الطبعة الأولى، تحقيق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ/ على محمد معوض، شارك في التحقيق: ١- د. زكريا عبد المجيد النوقي ٢- د. أحمد النجولي الجمل

- **خالد محمد خالد:**

- **خلفاء الرسول**: دار المقطم للنشر والتوزيع - القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

- **الذهبي (الدكتور محمد حسين الذهبي):**

- **التفسير والمفسرون**: طبع ونشر مكتبة وهبة القاهرة.

- **الرازي (فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي):**

- **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**: دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى.

- **رشيد (السيد محمد رشيد رضا):**

- **تفسير القرآن الحكيم المسمي تفسير المنار**: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- **الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي):**

- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

- **السعدي (عبد الرحمن بن ناصر السعدي):**

- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: دار النشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، تحقيق: ابن عثيمين.

- **أبو السعود محمد بن محمد العمادي:**

- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- **ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي):**

- **أحكام القرآن**: دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا.

• **ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي):**

- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: دار الكتب العلمية - لبنان، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

• **القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي):**

- **الجامع لأحكام القرآن**: دار النشر: دار الشعب - القاهرة.

• **ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء):**

- **البداية والنهاية**: مكتبة المعارف - بيروت.

- **تفسير القرآن العظيم**: دار النشر: دار الفكر - بيروت ، ١٤٠١هـ.

• **النسفي (عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي):**

- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**: دارالنشر: دارالنفائس- بيروت، تحقيق الشيخ: مروان محمد الشعار.

• **موقع التفسير ALTAFSIR**: تفاسير الشيعة الاثني عشرية.

***

فهرس الموضوعات